

كيفه تصوير الالوان مرعبة او - على اقل تقدير -
ليست كما وجدت في خيالات طفولتنا..

Looloo

www.dvd4arab.com

قوس قزح



د. احمد خالد توفيق

د. تامر ابراهيم

قوس قزح

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
إنه قوس قزح..

لا حقائق ولا مسلمات.. إنما هو الضوء يمارس خدعته السرمدية في
شكيات عيوننا..

الأبيض لا وجود له؛ بل هو سبعة الألوان وقد جاءت معاً.. الأسود لا
وجود له؛ إنما هو سبعة الألوان وقد غابت معاً..

تدنو من الشيء أو الشخص أو الحقيقة؛ لتدرك أنه ليس واحداً.. وأن
التجانس المزعوم وهم.. هناك حقيقتان.. ثلاث حقائق.. ربما سبع.. ربما لا
حقيقة على الإطلاق..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
إنه قوس قزح..

الهواء مبتل قشيب اغتمل بالأمطار لونه، وعند طرف قوس قزح تجد
قدر الذهب الذي دفعه القزم.. كذا قالوا في الأساطير.. تجد السعادة.. تجد
الحقيقة..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
اليوم نحكي لك كيف أن قوس القزح قد يكون مخيفاً..

كيف تصير الألوان مربعة أو -على أقل تقدير- ليست كما وجدت
في خيالات طفولتنا..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
قوس قزح..

وسبع قصص نحكي عن الألوان..

سبع حكايات عن قوس قزح..

كانت الفكرة والمقدمة للدكتور (أحمد خالد توفيق).. وبعد هذا اختار
أحد المؤلفين أن يكتب عن ثلاثة ألوان واختار الآخر أربعة.
فمن اختار ماذا؟..

ستترك السؤال معلقاً.. فهل تجيب عنه أنت؟..

...

د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

أحمر

يقول السيد (منير) وهو يلفظ الدخان من غليونته:

"اللون الأحمر يا بني هو أهم ألوان الطيف وأكثرها عمقا وتأثيرا.. إنه لون الدم.. لون الحب.. لون الزهور.. لون الفجر والغروب.. والأهم من هذا كله أنه لوهم!!"



وكان المقطم هو المكان الأمثل لما انتربنا فعله..

دائما ما تصلح فيلات المقطم في تنفيذ أي منطط.. وهذه قاعدة مطلقة..

لا بد أن يستسخوا البشر ويصنعوا المعجزات ويأكلوا الموتى ويشربوا الدماء في هذه الفيلات..

على كل حال أنا ذاهب لما هو أسوأ!!

السيد (منير) هو من أيقظني ليخبرني أنها الليلة الموعودة، فلم أكد أصدق نفسي وأنا أقفز في سيارتي لأنتقل إلى هنا.. إنها الليلة الموعودة، ولكم طال الانتظار..

أوقفت سيارتي أمام تلك الفيلا التي تبدو مهجورة لمن يراها من الخارج، وجلست لحظة لأملأ جسدي بدفء السيارة، قبل أن أخرج إلى حيث تضربني الرياح بلا هوادة، بأسهم من الثلج..

ومن حقبة السيارة أخرجت تلك الحقبة الجلدية الضخمة، لأجلها بنوع من المشقة متجهًا إلى مدخل الفيلا..

إنني أتذكر.. ثلاث طُرُقَات ثم طُرُقَيْن متباعدتين، ثم هأنذا أنتظر حتى يفتح الباب، ليستقبلني السيد (منير) بدخان غليونه..

أنا لم أر هذا الرجل إلا وهو يدخن الغليون، وإنني لأسأل عن الكيفية التي يبقى معها غليونه مشتعلاً طيلة الوقت.. أحياناً أشعر أنه ينفث لها من فمه في هذا الغليون!

كان عملياً كدائي به، فاستقبلني قائلاً:

- "هل أحضرت المطلوب؟"

دققت على حقبي الجلدية، وأنا أومئ برأسي إيجاباً، فأفصح لي الطريق، لأعود إلى دفيء الأماكن المغلقة.. وفي الداخل كان الباقون في انتظارى..

السيد (علاء) بقماته الضئيلة وجسده المكتو، والسيد (رضا) بنظراته العصية المتوترة، والسيد (فهمي) بملاحمه الأرستقراطية الجامدة..

حيوني بهز الرأس، فالتحذت مكاني جوارهم، حتى أتى السيد (منير) وهو يمرر أصابعه في خصلات شعره الأشيب، ليقول بذات العملية والغليون مدلى من فمه:

تأنيلاً "سيبدأ حالاً؛ لذا على من يريد التراجع أن يُقلعنا من الآن..".
لم يتلق ردًا، فنفت المزيد من الدخان واتجه إلى باب إحدى الغرف، قائلاً بجمادية:

- "اليعوني رجاء..".

وهكذا تبعناه صاغرين إلى الغرفة التي لم نكد نراها؛ حتى بدت الدهشة في ملامحنا، وإن لم يجرؤ أحدنا على النطق بحرف..

على الأرض رُسِمت النجمة الخماسية الشهيرة، وقد استقرت خمسة مقاعد عند أطراف النجمة، بينما استقر ذلك الشيء عند مركز الدائرة، لشعر أنه يحتم على صدورنا بلا رحمة..

أقول هذا الشيء لأننا لم نعرف له اسمًا وإن كنا قد اتفقنا فيما بيننا على تسميته (لوح الحقيقة)..

كان يبدو كلوح حجري مصمت، استقرت في طرفه بلورة زجاجية شديدة الشفافية، وعلى اللوح نفسه خُفِر فراغ لا يحتاج المرء لأن يكون خبيراً، ليعرف أنه مصمم بحيث يستلقي جسدي في هذا التجويف.. جسدي آدمي..!

استقر (فهمي) و(رضا) و(علاء) في مقاعدهم وملاحظتهم تنضح بالانفعال، بينما ظللت أنا واقفاً حاملاً حقيقي الضخمة، منتظراً إشارة السيد (منير)

الذي أومأ لي برأسه موافقاً، فوضعت الحقبة على الأرض بحرص، ونزلت على ركبتي لألتصقها..

واستقبلني ثلاث شهقات من السادة الجالسين، وأنا أخرج من الحقبة جسد ذلك الطفل، الذي بدا واضحاً من شحوب جسده، وتلك الدماء الجافة على رأسه؛ أنه مات منذ زمن، وأن جسده كانت محفوظة لفترة طويلة، بما حال أن تبدأ في التحلل..

وحده السيد (منير) الذي ظلت ملامحه جامدة وأنا أسجي الجسد الضئيل في التجويف، قبل أن ألتزم مقعدي عند أحد أطراف النجمة الخماسية، تلاحقني نظرات السادة الجالسين غير المصدقة..

وبتؤدة جلس السيد (منير)، وظل صامتاً لدقيقة كاملة، كأنما يمنحنا الفرصة لتسعد، قبل أن يبدأ في نفث الدخان والكلام في وجوهنا:

- "أنتم تعرفون ما نحن مقدمون عليه أيها السادة، لكن دعوني أُنعش ذاكرتكم.. نحن هنا لنستخدم لوح الحقيقة، الذي ظل لغزاً لكل الباحثين والمؤرخين على مر الزمان.."

كنت أعرف ما سيقوله بالضبط، لذا غبت في حالة الشرود، وعيناي معلقتان على جنة الطفل الساكنة، والتي لولا الدماء الجافة التي غطت وجهه، لظننت أنه نائم وميستيقظ في أية لحظة..

لكنه لن يستيقظ..

أنا أعرف هذا وأثق فيه بحكم كوني طبيباً.. حادث سيارة أدى إلى شريح في الجمجمة وقتك في خلايا المخ.. موت سريع لكنه غير نظيف، مع كل الدماء التي فقدتها الطفل، ووالداه المذعوران يحملانه إلى المستشفى، علناً نحن الأطباء نأني بمعجزة ما، تعيد الحياة إلى جسده الضئيل..

لكن الحقيقة كانت جليلة أمام أعيننا ومنذ اللحظة الأولى.. هذه حالة متنها، وكل ما علينا فعله هو قدنة والديه المشكين على الجنون هلعاً..

- "لوح الحقيقة صنعته السحرة في العصور الغابرة، والغرض منه استدعاء كيانات ما غير محدد الهوية، هذا الكيان يحتل الجنة التي توضع في تجويف اللوح.."

حين كنت طالباً في كلية الطب، أخبرنا أحد الأساتذة، أن أقسى لحظة سمر 14، حين نغبر أهل المريض بوفاته.. مستعرض إلى عاصفة من الهلع والاستكار وعدم التصديق، لكنك مع الوقت ستجاد هذه المهمة الشاقة، وستؤديها بصفة روتينية..

أنا اعتدت هذه المهمة الشاقة، بل ووصلت إلى الدرجة التي انتظرت فيها خروج والدي الطفل وهما في حالة انقياس تام، لأحمل جثة طفلتهما في حقيبة مليئة بالتلج، لأنقلها إلى ثلاجة معدة خصيصاً لهذا الغرض في داري،

انتظارا لليلة الموعودة..

"حين يحلّ هذا الكيان الجسدُ الراقضُ على اللوح، يحركه وينطق عن طريقه.. الميت لا يعود للحياة، لكن هذا الكيان يستحوذ على جسده ويسخره له.. ونحن نسخره لنا ليخبرنا بالحقيقة.."

بالطبع لم يمرّ اختفاء جثة الطفل من المستشفى مرّ الكرام.. كان هناك صراخ والديه، وتحقيقات وأقلامات وأخبار في الصحف وفي نهاية الأمر.. لا شيء!

تم اعتبار أن الطفل دفن بموية مختلفة عن طريق الخطأ، وتلقى والداه تعويضاً محترماً سيساعدهما على إنجاب طفل آخر، وظلت أنا بمنأى عن أي شك..

ما الذي سيدفع طبيباً محترماً مثلي إلى سرقة جثة طفل؟!!

- "الحقيقة هي ما ستحصل عليه الليلة.. حقيقة الماضي وحقيقة المستقبل.. سؤال واحد لكل منا قد يفتح له أبواب المجد والثراء وقد ينقذ حياته لو كانت ساعته قد أوشكت.. لذا اختاروا أسلتكم بحرص شديد"

كانت هذه هي اللحظة التي تبادلنا فيها النظرات..

سؤال واحد لكل منا.. ترى أي سؤال ستختاره لو كنت مكاني؟!!

لفكر جيداً.. لإجابة سؤالك، وكما قال السيد (منير) قد تفتح لك

أبواب الثراء، وقد تنقذ حياتك لو كانت ساعتك أوشكت..

أنا أعرف عن ماذا سأسال، وسؤالي أيها السادة سيُدرّ على الملايين.. ملايين زوجتي الراحلة!

تلك اللعينة أخفت عني ثروتي قبل أن تموت، بعد أن أدركت أن هذا سبب زواجي منها في المقام الأول..

تلك الحمقاء!!.. لماذا تظن أنني تزوجتها إذن؟!!

أي شاب يتزوج امرأة يتجاوز عمرها ضعف عمره، هدفه واضح وصريح وإن أنكر الجميع هذا..

لا مكان للمراطف أو لعقدة (أوديب) هنا.. إنني (إديانا جونز) الباحث عن الثروة، وتلك الحمقاء غمك الكثير..

بل الكثير جداً..

قطع السيد (علاء) حبل أفكارنا، بسؤال ساذج:

- "سؤال واحد؟!.. فقط؟!!"

أوما السيد (منير) برأسه إيجاباً، ثم واصل بث الشرح ونفت الدخان:

- "ثمة شيء آخر يجب أن تحذروا منه.. هذا اللوح يفتح الباب بين

عالمنا وبين عالم آخر لا يعلم إلا الله ما الذي يوجد فيه.. لذا فهذه البلورة

الزجاجية ستكون بمثابة جهاز الإنذار لنا.. حين تتألق البلورة باللون الأخضر
سيعني هذا أن الاتصال بيننا وبين العالم الآخر قد نجح.. وحين تتألق باللون
الأزرق سيعني هذا أن الكيان الذي سيجب على أستاذنا قد حضر..*

ثم ابتلع ريقه، ليضيف:

- "المشكلة ستكون حين تتألق البلورة باللون الأحمر، ففي هذه الحالة
يعني هذا أنهم حضروا.. اللون الأحمر هو لوقم.."

جاء دور (رضا) ليهتف بعصية:

- "من هم بالضبط؟.. لست أفهم شيئاً من هذا الكلام المأفزر.."

أخذ السيد (منير) يبحث في غليونته، وهو يجيب:

- "كما قلت آنفاً، لا يعلم إلا الله ما يحويه هذا العالم الآخر.. لكن
اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة.. لو تألقت
هذه البلورة باللون الأحمر فسيعني هذا أن فرصاً في النجاة من هذه التجربة
ضئيلة، لذا أكرر.. من يرد الانسحاب فليفضل مشكوراً من الآن، فلا
مجال للتراجع إذا بدأنا.."

ألجم الصمت الذي حلّ على المكان السنة الجميع، فعدت إلى خواطري
المضطربة..

زوجتي بدأت تفهم الحقيقة منذ عام واحد تقريباً.. كانت مسنة لكنها

امراً، لذا كانت تفهم معنى تأخري الدائم عن المنزل ومعنى تلك الاتصالات
الغامضة، التي يفتق أصحابها الخط في وجهها إن ردت هي...
هناك أخرى.. وربما أكثر من واحدة.. وهذه هي الحقيقة!!

وحين واجهته، كنت قد سأمت بقاءها على الحياة حتى هذا الوقت؛
لذا صارتها بالحقيقة بيروود وفسوة، علّ الصدمة تحقق لي هدفي في ميراث
سريع ومضمون..

لكنها -اللعينة- تلقت الصدمة بالمستربا والدعوع وبإخفاء ثروتها عنى
حتى لفظت أنفاسها في أحد الليالي وهي تتعنى بأقذع الألفاظ..

ما لم تعرفه هي حتى النهاية، أن وفاتها لم تكن طبيعية.. لم تكن كذلك
قط!!

- "هل سيبدأ أم ماذا؟!"

قالت السيد (منير) هذه المرة، ليحبيه صمتاً بالإيجاب، فقال:

- "ليخرج الكل الأوراق التي وزعتها عليكم.."

أخرجت تلك الورقة المطوية من جيب معطفي، وفضضتها لتجري
عيناى على تلك الأسطر اللاتينية التي كتبها السيد (منير) بخطه الأنيق
المنمق..

لست أفهم حرفاً مما أمامي الآن.. لقد شرح لنا السيد (منير) المعنى من قبل، لكنني نسيت.. على كل حال إنها ليست قصيدة شعر، ولا ينبغي عليّ أن أقرأ من القلب!!

عثر السيد (منير) بأحد الأزرار في الخائط وراءه، فاعترضت الإضاءة في الغرفة للحد الذي أصبحنا فيه نرى بعضنا البعض بالكاد، ثم وضع غليونه - أخيراً - جانباً، لبدأ في ترديد التعويذة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

كلمات كتبها السحرة في العصور الغابرة، ترددتها حناجرنا المرتجفة، وأصابتنا معلقة على جثة الطفل وعلى البلورة الزجاجية..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

تتألق البلورة باللون الأخضر لتعرف أننا على الطريق الصحيح، فأثبت عيني على وجه الطفل الملطخ بالدماء الجافة منتظراً لحظة الحقيقة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

اللون الأخضر يزداد تألقاً ثم يتحول إلى الأزرق الشاحب البارد، ليضفي على جلستنا الرهبة هذه مذاقاً خاصاً..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تحدث المعجزة، ونرى بأعيننا المسعة ذهباً ووجلاً، تلك الرجفة التي تمر على جفني الطفل، ثم نراه يفتح عينيه ببطء؛ لتحديق الجثة بعينين لا تريان في سقف الغرفة..

كان (علاء) يرتجف هلعاً.. و(رضا) يرتجف انفعالاً.. و(فهمي) يجاهد للحفاظ على تماسكه، بينما تبدت اللفظة في عيني السيد (منير)، وهو يرى الاتصال يتم بنجاح..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تتحول البلورة إلى اللون الأزرق.. والآن أتذكر كيف قررت ذات يوم أن أهي حياة زوجتي التمسعة بيدي، ما دامت تصرّ على البقاء حية..

غيرني كطبيب كانت تعني أن التنفيذ سيكون سهلاً، لكن الصعوبة تكمن في اتخاذ القرار ذاته..

صحيح أنني كنت أكره تلك العجوز الشمطاء من أعماق أعماق قلبي، لكن أن أراها تموت كل يوم بتأثير ذلك السم البطيء الذي كنت أدسه بانتظام في دوائها، كان تعذيباً حقيقياً لأعصابي..

كنت أراها.. تضعف.. تنهار.. تذوي.. تتلاشى..

ولقد كانت هي تشعر أنني السبب في هذا كله!!

- من يبدأ!!؟

قالها (علاء) بصوت مرتجف، فأجابه السيد (منير) على الفور:

- "لا فارق.. أبدا أنت.."

احتشدت قطرات العرق في جبهة السيد (علاء)، ونطق بصوت مختنق
الترعه من حلقه انتزاعاً:

- "سؤالي هو... هو... هل توجد طريقة كي لا أموت؟!"

ها هو ذا أول سؤال للحقيقة يبحث عن سر الخلود..

وكانما يدفع السيد (علاء) هذا الإقام عن نفسه، قال دون أن ينتظر
لأحدنا:

- "إنني أموت.. تليف في الكبد..."

بالطبع كان هذا كافياً لي لأفهم.. تليف الكبد الناتج من الإسراف في
شرب الكحوليات.. لا علاج له.. !!

تعلقت أعين الجميع على وجه الطفل الذي ظل ساكناً كأي جثة، ثم
وببطء شديد فتح الطفل فمه ليزوم..

يزوم بصوت ثابت عميق لا يمكن أن يصدر عن طفل بأي حال من
الأحوال..

وبتوتر هف السيد (رضا):

- ما هذا...؟!

لكن السيد (منير) أخبره بإشارة من يديه، لتظل الكرة في ملعب جثة
الطفل..

الطفل الذي أخذ يزوم بصوت غير بشري..

صوت قادم من العالم الآخر!!

كنت خائفاً وهذا ما لا يمكنني إنكاره.. ما يحدث الآن يفوق قدرتي
على الاستيعاب، والسبب واضح وصريح..

هذا الطفل ميت.. جثة هامدة لا حياة فيها من أي نوع، فأي كيان هذا
الذي يستخدمها ليزوم!!

استمر هذا الصوت الرهيب المنبعث من الطفل طويلاً، فافرح السيد
(فهمي):

- "هل.. هل نجرب سؤالاً آخر؟!"

- "لم لا؟!"

- "إذن، فسؤالي هو... هل... هل...؟"

ولسب ما بدأت ملامحه الأرستقراطية الجامدة ترتجف، ورأيت - لأول
مرة منذ عرفته - يتلعثم وهو يسمح قطرات عرق وهية عن جبينه، بمندبل
حريزي فاحر، ليخرج سؤاله:

- "هل.. تخونني زوجتي حقاً؟"

لبدت الصلعة في ملامح الجميع، إلا أنني شعرت بحرق بالغ وأنا أتساءل في أعماقي إن كان هؤلاء الحمقى يفهمون الغرض من هذه التجربة حقاً..

الأول يسأل عن علاج لمرحه والآخر يسأل إن كانت زوجته تخونه.. لهذا جئنا بلوح الحقيقة والجنة ولما بالمخاطرة في هذه التجربة المخيفة؟.. من أجل الهواء ذاته!

على كل حال استمر الزوم المخيف المنبعث من جثة الطفل دون أن يجيب على هذا السؤال أيضاً، فعملقت نظراتنا الحائرة على وجه السيد (منير) الذي أشار لنا بيده إشارة أنه لا يفهم ما الذي يحدث بالضبط..

و دون أن أستاذن، ألقيت بسؤالي عنه يجذب اهتمام الكبان الذي يسطر على جثة الطفل:

- "أين أخفت زوجتي ثروتي؟"

الطفل يزوم بلا انقطاع كأنه يسخر منا..

و لم تحمل أعصاب (رضا) كل هذا الاستغزاز، فهب من على مقعده صائحاً:

- "ما هذا العبث؟.. هل سيجيب هذا الوغد عن أسئلتنا أم ماذا؟"

أثار تصرفه المفاجئ ذعر السيد (منير) الذي أخذ يردد شيئاً ما باللاتينية، ليتوقف الطفل عن إصدار تلك الضوضاء السخيفة، ولتطفئ البلورة الزجاجية دفعة واحدة..

و بغضب هائل صاح السيد (منير):

- "أيها الأحمق.. أريد أن تقضي علينا جميعاً بتصرفك هذا؟"

- "إن كنت أنا أحمقاً، فلماذا لا تفسر لنا أيها العبقري ما الذي يحدث بالضبط؟"

- "لا بد أن هناك شيئاً ما لم نفعله.. هذا هو كل شيء.. ساراجع أوراقك وستكرر التجربة في وقت لاحق.."

- "كورها بمفردك إذن، فلن أشارك في هذا السخف ثانية.."

و دون أن ينتظر ردّاً، اندفع مفادراً المكان بثورة، لتركنا نتبادل النظرات الحائرة..

كان السيد (علاء) شاردّاً يفكر في كبده المتليف وموته القادم لا محالة، بينما بدا السيد (فهمي) متيراً للشفقة بحق، وهو يحاول إخفاء وجهه بكفيه، وقد أفشى سره أمامنا على هذا النحو، بينما اكفى السيد (منير) بأن أخذ يشعل غليونه وقد أعاد الإضاءة إلى الدرجة الطبيعية، قبل أن يقول:

- "لا داعي للقلق.. سنكرر التجربة مرة أخرى لاحقاً بعد أن أعرف

ما الخطأ بالضبط.."

"كانت رسالته التي تطلب منا الرحيل واضحة، فهزّ (علاء) رأسه بشروء، وغادر المكان دون أن ينطق بحرف، بينما وقف السيد (لهمي) وأخذ يبحث في ذهنه عن شيء لائق ليقوله، فلم يجد سوى:

- "ليلة طيبة.."

و غادر المكان ليتركني أشير إلى الجنة قائلاً:

- "وماذا عن هذا؟"

- "أتركه لي قليلاً.. ربما احتجت له لأفهم ما الخطأ الذي حدث.."

لم أكن متحمساً للاحتفاظ بالجنة، كما أن الإحباط الذي أصابنا جميعاً، كان يدفعني للإسراع بالمغادرة، فقلت:

- "كما تشاء.."

و غادرت الغرفة.. فاقبلاً.. لأنطلق بسيارتي في الشوارع المظلمة بين بيوت المقطم الكنيسة..

ليلة أخرى من عمري تضع دون أن أعرف ابن أخت زوجتي ثروفاً..

ليلة أخرى من عمري لن تعود مجدداً..

• • •

لكن الليلة لم تنته عند هذا الحد، ولا بد أنك توقعت هذا بصورة أو بأخرى..

كنت قد أوشكت على الوصول إلى منزلي حين دق جرس هاتفني المحمول، فرددت على الفور ليأتي صوت السيد (منير) يهف بانفعال لم أعهد فيه قط:

- "(أنور).. تعال فوراً.."

فأنا ثم أغلق الخط على الفور دون أن يمنحني فرصة للرد، ودون أن يجيب عليّ إذ أخذت أحاول الاتصال به لأفهم ما الذي حدث..

ثم - وقد تغلب فضولي على حنفي - استلثت بالسيارة لأعود إلى المقطم، وأنا أضرب أحاساً في أسداس.. ترى هل فعلها؟؟
هل نجح؟!

كانت الطرق شبه خالية في هذا الوقت، لذا لم ألق مشقة في العودة إلى تلك الفيلا في المقطم، لأجد أن سيارة السيد (علاء) تقف في الخارج، فضعف هذا من فضولي، لأخرج من السيارة متجهاً إلى بوابة الفيلا، التي لم أندش كثيراً حين وجدتها مفتوحة..

ثمّة شيء ما حدث هنا، وأنا أشم رائحة هذا الشيء، لكنني لا أدري كنهه.. تجاوزت الردهة وأنا أنادي بأعلى صوتي:

- "سيد (منير).. (علاء).."

لم يجبي أحد فالتجهت على الفور إلى الغرفة التي أجرينا فيها التجربة،
ولتحت باها و... و...

و كما توقعت أيضاً، وجدت الهول ذاته في انتظاري..

كان السيد (علاء) يقف قرب الباب، وجسده ينطش بلع وعينه
جاحتان بشدة، بينما أخذ السيد (منير) يزحف على الأرض تجاهه وهو يمد
يده أمامه وقد شحب وجهه بصورة مخيفة وتساقطت خصلات شعره على
وجهه، ليبدو كأنه في أفلام الرعب القديمة، وقد اكسى المشهد
كله أمامي باللون الأحمر الساطع، القادم من البلورة..

"لكن اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة..
لو تأملت هذه البلورة باللون الأحمر فسيبني هذا أن فرحتنا في النجاة من
هذه التجربة ضئيلة.."

هذا ما قاله لنا السيد (منير).. وهذا يعني أن هناك كارثة رهبة موشكة
على الحدوث، إن لم تكن حدثت فعلاً..

انزعجت الصرخة من حلقى:

- "سيد (منير).. ما الذي حدث؟"

بالطبع لم يجبي أحد، بل واصل السيد (منير) زحفه المخيف هذا تجاه

(علاء) الذي شلّه الملح تماماً، ثم توقف السيد (منير) أخيراً وإن ظلّ يشير
بيده الممدودة على (علاء)، لتخرج الكلمات من فمه، بصوت لا يمت له
بصلة:

- "أنت.. أنت مغني، دماً حق قوت.."

فأنا ثم قاروى جسده دفعة واحدة!!

هنا بدأ السيد (علاء) في إطلاق الصرخات المستمرة، ففقدت أنا
أعصابي نهائياً، وجملت أول مقعد أمامي، لأهوي به على البلورة الزجاجية،
لتهشم بدوي أشبه بالقبلة..

ساد الظلام الغرفة، ليرتفع صوت صرخات السيد (علاء) المستمرة
أكثر وأكثر، بينما انحيت أنا على السيد (منير) لألحظه..

لكنه كان قد مات.. حالة منتهية كما اعتدنا أن نسمي كل من غادروا
عالمنا البهيم هذا!!

ما الذي حدث هنا؟

و أين اختفت جثة الطفل؟؟؟؟

انتهت إلى هذه الحقيقة الجديدة، في اللحظة التي دخل فيها السيد
(رضا) الغرفة ليضيئها، لينظر إلى المشهد الرهيب أمامه، قبل أن يهتف
بعصبيته المعتادة:

- "ما الذي حدث؟.. ما الذي؟.."

لكنه جر مؤاله ليهوي على وجه السيد (علاء) بصفعة هائلة أخرته على الفور، قبل أن يكرر هو هنافه:

- "ما الذي حدث هنا؟!"

أجته محاولاً التماسك:

- "لا أعرف.. لقد وصلت لأجد أن السيد (منير) يموت وهو ينثر إلى السيد (علاء)، والأسوأ من هذا أن جثة الطفل اختفت.."

- "ماذا تقول؟.. مات؟!.. الطفل اختفى؟!"

ثم وبعملية بحسب عليها أسرع مفادراً المكان كله، تاركاً الماساة كلها على رأسي..!

لم أجد أمامي سوى (علاء) الذي انهار يكي في ركن الغرفة، فالتحيت عليه لأسأله:

- "أخبرني ما الذي رأيته.."

لكن حالته أجابني بأن الحصول على رد منه، سيكون ضرباً من الخيال، فتركته لأبدأ في البحث عن جثة الطفل التي اختفت.. لا بد أنها هنا في مكان ما.. لا بد لأنها جثة رغم كل شيء..

لكن نتيجة بحثي الذي لم يسفر عن شيء، جعلتني أقف في ردهة الفيلا أرثيف.. الجثة اختفت.. السيد (منير) مات.. والسيد (رضا) هرب، ولا بد أن (فهمي) في الطريق إلى هنا، بينما يبدو أن (علاء) قد فقد عقله إلى الأبد..

ما الذي تفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟

موت (منير) يعني أن هناك تحقيقات وشرطة واتهامات وسيتم ذكر موضوع سرقة جثة الطفل من المستشفى والفرض من هذه التجربة وكل ما يكفي لتدمير حياتك إلى الأبد..

ما الذي سفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟

بيطء قلبي أغمغم:

- "هذا المكان يحتاج إلى تطهير.."

و أبدأ في تطهيره..



الآن أقود ميارتي مبتعداً عن المكان، وقد ارتفعت السنة اللهب من الفيلا لتسحوها من الوجود..

لا بد أن أحلهم استيقظ وأنه أبلغ الشرطة والمطافي، لكن حين يصل هؤلاء سيكون الأمر قد انتهى، فلقد حرصت على إلقاء الجثتين في كل ركن

في هذه القبلا الملعونة..

السيد (علاء).. حسن.. لقد حاولت إخراجه، لكنه كان قد فقد عقله تمامًا، ولم أكن لأخاطر بخسارة كل شيء أملكه من أجل مجنون مصاب بتليف الكبد..

لست أعرف أين السيد (فهمي) ولا السيد (رضا) الآن، لكنني والتى من أقمنا لن يتحدثنا في هذا الموضوع مع أحد.. ستتحى هذه الليلة من تاريخنا ببساطة وإلى الأبد..

الآن أعود سيارتي وأنا لم أحسر إلا فرصتي في معرفة مكان ثروة زوجتي الراحلة، لكنني سأواصل البحث..

حتمًا سأجد الـ...

"زوجتك حولت ثروتها إلى ماس، وأخفته في صندوق، دفنته في القبر"

ارتفع الصوت من المقعد الخلفي فانتفضت بذعر، لأنظر إلى الشيء الذي جعلني أصاب بالهلع لأصرخ بذعر هائل، ولأفقد التحكم في السيارة..

إلى الطفل الذي جلس في ظلام المقعد الخلفي، وإن مر ضوء مصابيح الإنارة في الشارع على وجهه لحظة، لأرى أنه ينسم ابتسامة شيطانية مخيفة..

لحظة واحدة رأيت فيها وجهه الملتفح بالدماء الجافة، وتلك الابتسامة

التي صاحبت جميع كوايسي بعد هذه الليلة.. ثم سمعت بوق تلك السيارة ورأيت مصباحين عملاقين يتجهان تجاهي بسرعة خرافية.. ثم... ثم... ثم انتهى كل شيء بفتة..



لما بعد عرفت أن السيد (فهمي) قتل زوجته في ذات الليلة وسلم نفسه للشرطة..

و عرفت أيضًا أن السيد (رضا) غادر البلاد بلا رجعة، بينما أغلقت قضية فيلا السيد (منير) المحرقة بعد أن عثروا على جثة وجدة السيد (علاء)، دون أن يجدوا دليلًا واحدًا يصلح لأقدام أحد به..

أما أنا.. فلقد نجوت من الحادث حيا، لكنني الآن مصاب بالشلل الكلبي، ولن يمكنك أن تتخيل كيف أن قدرتي على تحريك سبائك اليسرى -آخر ما يمكنني تحريكه بإرادتي في جسدي- هي الشيء الوحيد الذي جعلك تقرأ هذه القصة..

ثروة زوجتي في صندوق مدفون في قبر مرئي بالمناسبة لو أردت المغامرة والحصول عليه، لكن يجب أن أحذر! أيضًا أنهم لم يعثروا على جثة الطفل في حادث السيارة..

في الواقع لم يعثروا عليها حتى الآن!!

لا أعرف - ربما لن أعرف - أين هو الآن.. لكنني أتخيله دوماً يجوب
ظلال الطرقات بوجهه الملطخ بالدماء الجافة وابتسامته الشيطانية المخيفة..

وحده يعرف حقيقة ما حدث..

وحده يعرف ما هو الثمن الذي يدفعه البؤساء الذين تألق في وجوههم
اللون..

الأحمر..

• • •

يرتقالي

"كنت أعرف أن تعلق ابنتي بهذه الدمية غير طبيعي.. كنت أعرف هذا لكنني تجاهلته.. لهذا أنا أستحق"



من الصعب دائماً تحديد النقطة التي تبدأ من عندها الأحداث.. حين أقول (هنا كل شيء متلذذ...) فأنت لا تحدد البداية بدقة، إنما تحدد الوقت الذي انتهت أنت فيه لما يحدث طيلة الوقت من حولك، وحتى هذا يخضع لقوة ذاكرتك، ولا يوجد مثال أفضل مما قاله الكاتب العظيم (ماركيز)، حين وصف كتب التاريخ قائلاً:

- "التاريخ ليس ما حدث حقاً.. بل ما نتذكره وكيف لحكيه".

من الصعب إذن أن أحدد لكم متى بدأت ابنتي في التطير، لكنني سأقول أن كل شيء بدأ حين قرر زوجي السفر فجأة إلى الخليج بحثاً عن المال الذي لم يجده هنا..

أي زوجة تعرف تلك اللحظة التي يتحول فيها الزوج من الحبيب ذي الصدر الدافئ، إلى مصدر تمويل المنزل، بل وتطالبه بما إن لم يفعلها هو بمفرده.. أنا أحبك نعم.. لكن هناك فواتير الماء والطعام والكهرباء والتليفون وملبسة الطفل والملابس والمناسبات، ولن يغتني دفع صندوق عن هذا كله..

لهذا سافر زوجي.. لأنه أدرك أن دوره في المنزل تقلص إلى ماكينة صرف نقود، عليها ألا تضن علينا بالأوراق المالية المحبة التي تشتري السعادة الحقة!

من الصعب دائماً تحديد بداية الأحداث، لكنني سأعود بذاكرتي إلى اليوم الذي اصطفت فيه طفلي (رنا) إلى السوق لتشتري بعض الألعاب، وفي هذا حل أكيد لكانها الدائم على اختفاء أبيها من المنزل.. هذا هو أجمل شيء في الأطفال، قدرتهم على النسيان..

(رنا) تبلغ من العمر تسع سنوات. وهو العمر الذي تعرفه أي أم وثقته.. إنه الوقت الذي يتعلم فيه الطفل كيف يكون مزعجاً ومؤذياً في الآن ذاته، وهو العمر الذي تعناد فيه الأم على ضرب طفلها في محاولة يائسة لتهدئته، تستمر حتى يكبر هذا الطفل ويترك المنزل بلا رجعة، لكنني في هذا اليوم كنت أجزّ معي طفلة بالسة، لا تفهم سر اختفاء والدها من المنزل رغم تعلقه الشديد بها.. من المستحيل علي من في عمرها أن يفهم أهمية المال، وهذه نقطة أخرى في صالح الأطفال..

المخيف في الأمر أن حزن ابنتي كان صادقاً وقويّاً إلى الدرجة الذي جعل كل اللعب والهدايا في نظرها، أشياء حقاً سخيفة لا يمكن أن تخفف عليها، والأسوأ من هذا أنني - ومع يؤسها المستمر - بدأت أدرك حقيقة أنني أصبحت امرأة وحيدة.. امرأة بلا رجل ومستولة عن طفل!

صحيح أنني من شجع فكرة السفر، لكن هذا لا يمنع من أنني أفتقد وجوده.. أفتقد صوته الرجولي وهالة الأمان التي يحيط بها المنزل.. كل هذا لم يعد موجوداً لأننا نحتاج للمال اللعين!!

و هكذا بدأ الأمر يتحول من أم تحاول الترفيه عن طفلتها إلى ثنائي باتس يجوب طرقات المدينة بلا هدف، حتى أنني قررت العودة إلى المنزل حيث يمكنني ممارسة حفي في البكاء بلا حرج، حين توقفت ابنتي فجأة أمام متجر للألعاب، وقد تعلقت عيناها على دمية محددة..

دمية دب مكتر، في حجمها تقريباً، ويحمل وجهه ابتسامة واسعة مريحة، بينما تحدق عيناها البرتقالتان بإصرار في وجه الجميع.. دمية عادية لا تحمل أي ابتكار، لكنها جذبت اهتمام (رنا) فانحبت عليها لأقول بخنان:

- هل تريدونها؟

هزت رأسها الضئيل أن (نعم) فلم تمض عشر دقائق حتى كانت تحملها بين ذراعيها لتنتج إلى المنزل، وقد علت وجهها الملائكي - أخيراً - ابتسامة رضا وحبور..

ألم أقل لكم أنها طفلة، وأنها مستسى؟!.. لكن..

من يأتي لي بدب بني مكتر يساعدني على النسيان!!

لم ألاحظ ما يحدث في بدايته لأنني كنت مشغولة..

إنني الآن أعب دور الأم والأب، وفي هذا مشقة أي مشقة.. لم أعرف حقاً كم العناء الذي كان يزيحه زوجي عن صدري إلا في هذه الفترة، ورغم كوني ربة منزل لا تعمل إلا أنني كنت أعاني الأمرين كل يوم من اللحظة التي تترك فيها (رنا) فراشها وحتى تعود إليه..

في نهاية اليوم أجلس وحدي على الفراش أسجل وبذلة مصاريف اليوم وما تبقى من نقود وما يجب عليّ إدخاره - زوجي لن يسافر إلى الأبد - وما يمكن اقتطاعه لحسابي الشخصي، وبعد أن أنتهي من هذا، أظل بقية الليل أرقق الفراغ الكائن جوارى على الفراش، والذي كان يحتله جسد زوجي منذ أسابيع قليلة..

مهما حاولت المرأة ستظل أهمية وجود الرجل في حياتها حقيقة لا فرار منها!

كان كل شيء يسير على ما يرام، لكنني لم أعرف أن ابني لم تكن تنام هي الأخرى على فراشها..

ما عرفته بعد ذلك أنها كانت تقضي ليلتها كلها تحدث..

تحدث بصوت خافت مرتجف إلى دميها.. الدب المكر ذو العينان البرتقاليان..

مق عرفت هذه الحقيقة الجديدة؟

حسناً إنني أذكر هذا اليوم جيداً...

• • •

كان يوم اثنين، وكنت قد استيقظت منذ السادسة صباحاً كمعادني لأعد طعام الإفطار لـ (رنا) قبل أن أوظفها لتذهب إلى المدرسة، لكنني حين ذهبت إليها في غرفتها وجلتاً جالسة على فراشها وقد بدا جلياً من عينيها المتهافتين والإرهاق البادي على وجهها الملائكي، ألما لم تنم إطلاقاً..

سألها بقلق:

- رنا.. هل أنت مريضة؟

هزت رأسها أن (لا)، فسالت:

- ألم تنامي جيداً ليلة أمس؟

هزت رأسها أن (لا) مرة أخرى، فسالت:

- لماذا؟

هنا ظلت (رنا) صامتة قليلاً كأنها تستجمع طاقتها لتجيب، ثم مدت يدها يبطء تشير إلى دبا المكر دون أن تنطق بحرف، ففهمت أنا الموقف - كنت حقاً ولم أفهم شيئاً لكنني لم أعرف هذا في حينه - وهفت فيها:

- أخذت تلعبين طيلة الليل ولم تنامي.. أليس كذلك؟!

لم تجبني (رنا) هذه المرة، وبدأ وكأنها قد استنفذت طاقتها كلها، فقررت أن أتركها هذا اليوم دون أن تذهب إلى المدرسة، وقلت بغيظ:

- إذن ارتاحي اليوم.. لا مدرسة..

لكنني قبل أن أخرج أخذت الدب المكتوم معي وأنا أردف:

- ولا لعب كذلك.. هيا.. نامي.

وهكذا أهملتُ عليها الباب وعدتُ إلى غرفتي لأظفر بالنوم، وقد بدا أنني قد أحطيتُ بساعات نوم إضافية هذا اليوم، دون أن يؤدي هذا إلى كارثة..

ألقيتُ بالدب على أحد الأرائك في ردهة المزل، ثم ذهبت إلى غرفتي لأنام، على أن أستيقظ بعد عدة ساعات لأعد طعام الغداء ولأواصل طقوس اليوم المعتادة..

كان يوماً عادياً لم يستجد فيه شيء.. (رنا) استيقظتُ عصراً وقد بدا عليها الانزعاش، وقضت يوماً في مذاكرة دروسها تحت إشرائي، وفي نهاية اليوم سمحتُ لها بالجلوس أمام التلفاز قليلاً حتى أتت الساعة التاسعة مساءً؛ فحملتها حملاً إلى فراشها وأنا أقول:

- نامي جيداً.. ستذهبن إلى المدرسة غداً.

و بعد أن أوت إلى فراشها، عدتُ أنا إلى غرفتي لأواصل تسجيل مصاريف اليوم الجديد، وهي عادة غير مفيدة إطلاقاً في حالة الادخار، لكنها تقفل الوقت قتلاً وهذا ما أحتاج إليه حقاً..

أتذكر يومها أنني - وحين نسلل النعاس إلى جفوني - قررت أن أمرّ على غرفة (رنا) أولاً، لأتأكد من أنها (تأكل أرزاً مع الملائكة كما يقولون) لكنني لم أكّد أصل إلى باب غرفتها حتى سمعتها تتحدث..

تحدثت بصوت خافت مرتجف، لم أميز معه ما تقوله بالضبط، لذا دخلت على الفور لأرى ما الذي يحدث بالضبط، فوجدتها تجلس على الفراش، وقد وضعت دها المكتر - الذي التمعت عيناه البرتقالتان على ضوء القمر - أمامها تتحدث إليه بخوف شديد استحال إلى فزع حين رأيته..

كنت حقاء أيها السادة، لذا فلم أعمل سوى أنني صرخت فيها وجذبت الدب من أمامها وأنا أهتف بصراة:

- نامي فوراً.

و على عكس ما تخيلته، لم تقاوم، بل وبدأ الأمر وكأنها كانت تنتظر من يأخذ الدب من أمامها، فحملته معي خارجة من الغرفة لألقيه في الصالة مجدداً..

لم أكن أعرف.. لم أكن أفهم.. ولهذا استمر الأمر أكثر من هذا..

• • •

هكذا اعتدت أن أحل الدب من أمامها كل ليلة، لأتأكد من أنها ستنام..

اعتدت أن ألقى الدب على أحد الأرائك في الصالة، ثم أنام وبعمر اليوم، وفي المساء أحل الدب مجددًا من أمام (رنا) في غرفتها..

ما دامت ابنتي تخشاه إلى هذا الحد، فلماذا كانت تجمعه إلى غرفتها كل ليلة إذن؟..

سؤال بديهي لكنني لم أفكر فيه قط، حتى جاء اليوم الذي دفعني للبدء في التفكير في هذا الموضوع..

كنت أمرّ بطقوس اليوم المعتادة، وكنت قد بلغت ذروة إرهاقي مع حلول الليل، حتى أنني قررت أنه لا داعي لتسجيل مصاريف اليوم، لكنني قررت أن أمرّ على غرفة (رنا) للاطمئنان عليها قبل النوم، وحين دخلت عليها كانت هناك مفاجأة عجيبة بانتظاري.. في تلك الليلة بدأت القلق.. في تلك الليلة بدأت الخوف..

كانت (رنا) قد فصلت رأس دميها عن جسدها الذي ألقت في ركن الغرفة، بينما وضعت الرأس الميت في حجرها، تنظر إلى العينين البرتقاليتين

بوجل، وقمس محدثة رأس الدب يخوف..

أي طفلة التي تلعب بهذه الصورة!!؟

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أنتزع الرأس من يدها، لأصرخ فيها بعنف لم اعتده في نفسي، بينما ظلت هي صامتة على الفراش، تسيل دموعها قطرات على وجتها، وسهام من نار في قلبي.. لماذا يا (رنا)!!؟.. لماذا!!؟

بالطبع أصابني دموعها بالهستيريا، وبعد كثير من الصخب كنت احتويها في صدري ونبكي سوياً..

- لماذا قطعت الرأس يا (رنا)!!؟

- هو أخيري.. قال أن الجسد غير مهم..

- من هو!!؟

- الذي يعيش في العينين البرتقاليتين..

• • •

الأطفال يصابون بالاضطرابات حين يفقدون أحد والديهم.. قرأت هذا من قبل وأذكره الآن..

(رنا) تفقد والدها بشدة، وهذا هو كل شيء.. لا داع للإصابة بالجنون.. لا داع للانتحار!

(رنا) مضطربة نفسياً.. لكن.. ما الذي عليّ أن أفعله أكثر من هذا؟؟

بالطبع لم أكن قد وصلت بعد إلى المرحلة التي تمكنني من ربط كل ما يحدث بالدمية..

أنت تنظر الآن إلى الموضوع من أعلى، مما يُمكنك من رؤية الصورة كاملة، أما أنا فكانتُ تفصيلاً صغيرة في الصورة الكاملة، لا يمكنها سوى أن تنظر إلى التفاصيل الصغيرة من حولها..

ذهبتُ إلى طيبة نفسية بحثاً عن المشورة.. وإلى دجالة معروفة بحثاً عن الأمل.. ولم أترك باباً إلا وتوسلت أمامه عليّ ألهم ما الذي أصاب ابني بالضبط..

إنما لا تتحدث إطلاقاً.. لا تنام أبداً.. لا تفعل شيئاً سوى التحديق المستمر في عيني رأس الدب البرتقالية كأنما نجد في هذا الشيء راحتها الوحيدة.. حاولت التخلص من رأس الدمية، لكن دموعها الصامتة كانت تجعلني أتراجع كل مرة..

إنما طفلة بائسة تعذب، فلماذا أحرمتها من الشيء الوحيد الذي تريده؟

بالطبع لم آخذ كلامها بخصوص الشيء الذي يعيش في العينين البرتقاليتين بجديّة، بل اكتفيت بالاعتقاد أن ابنتي أصيبت بالخيال لشدة

الحزن، وأنه عليّ أن أساعدها بأي وسيلة..

كنت أعرف أن تعلّق ابنتي بهذه اللعبة غير طبيعي... كنت أعرف هذا لكنني تجاهلته..

لهذا أنا أستحق ما حدث بعد ذلك..

أستحقه تماماً..



في أحد الأيام وأثناء تجولي في السوق لأشتري ضروريات المنزل، شعرت بذلك الهاجس الخفي الذي تشعر به أي أم، والذي يخبرها أن طفلها في خطر.. هذا هو الهاجس الذي يوقفنا في منتصف الليل لنجد طفلنا الرضيع يكاد يسقط من على فراشه.. لا معجزات في الأمر.. لكنه شعور داخلي عميق..

كنت قد تركتُ (رنا) في المنزل - فهي لم تعد تذهب إلى مدرستها منذ زمن - لذا أخذت في طريق عودتي إلى المنزل ابنتي تصورات سوداوية عما يمكن أن يكون قد حدث..

لقد أشعلت النار في الشقة وهي الآن تحتق حتى الموت... لقد دسّت إصبعها في قابس الكهرباء... لقد ألقت بنفسها من الشرفة.. شيء ما حدث!

پورتقالي

بطء أشارت يدها إلى رأس اللب ذي العينين الرقائتين..

في هذه اللحظة شعرت.. في هذه اللحظة فهمت... في هذه اللحظة أدركت الحقيقة كاملة بلا رنوش..

وہنا ارتکبت اکبر خطا فی حیاتی کلہا...

تركت طفلي وأسرت أعدو إلى الستار المجاور للمزل، لأحاول
الاتصال بزوجي.. يجب أن أسمع صوته الآن، ويجب أن يعود إلى المنزل
اليوم!!!

وصلت إلى السنترال وطلبت الرقم بأصابع مرتجفة..

و مع مرة كان يحس في الرئتين المستمر كنت أفقد أعصابي أكثر وأكثر.. أين أنت أيها الوغد!!

وارفع ذلك الصوت المقيت في أعماقي بردد: لقد مات.. لقد مات..
لقد مات.. لقد مات.. لقد مات.. لقد مات.. لقد مات.. لقد مات..
مات..

و بعد محاولات استمرت لساعة كاملة، أصبح عندي يقين أنني تحولت إلى أرملة..

لكني حين وصلت إلى المنزل، وجدت ما هو أسوأ من هذا كله...

كانت ابنتي (رنا) تجلس على أرض الصالة، ورأس الدب ذو العينين البرتقالتين أمامها يحرق فيها بثبات، وهي كانت تبكي هستيريا مخيفة كأنها رأت مذبحه مخيفة منذ لحظات..

ألقيت بكل ما في يدي، لأرفعها من على الأرض ولأدفعها في حضني
وأنا أردد بجزع:

- (رونا) حقيقى.. ما الذي حدث؟

//////////////////// -

- أعرف يا حبيبي.. أعرف.. إنك تفقدته، لكن... لا بأس ما نصل
به وأطلب منه أن يعود و...

- بابا .. مامانننه

199909180000 -

کریکٹ -

أصابني كلعائها بالجنون، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أرجها بعنف،
صارخة:

- من قال هذا!!

أرملة مشولة عن طفلة مخولة..

(رنا).. لقد تركتها بمفردها.. يا إلهي!!..

و هكذا عدت أسرع الخطى إلى المنزل وأعصابي تحترق في رأسي، وحين وصلت إلى المنزل كنت أغنى شيئاً واحداً..

أن أعثر على ابنتي حية!!

و الواقع أنني عثرت عليها حية.. الواقع أنني أذكر هذا المشهد بالذات جيداً فلما أراه لي كل لحظة من حياتي وحتى الآن.. الواقع أن أحداً لن يصدق ما رأيته أنا في تلك اللحظة..

كانت ابنتي تقف في صالة المنزل وعلى وجهها تعبيرٌ جاف مخيف، بينما صولها الخافت بنادي:

.. أمي.. أمي..

لم تكن شفاها تتحرك، لكنني كنت أسمع صوتاً واضحاً، وحين انتهت إلى مصدر الصوت الحقيقي، تجمدت الدماء في عروقي..

وماخوذة تجاوزت ابنتي التي تحولت إلى تمثال صامت لم ينطق إلى يومنا هذا، وحملت رأس دمية الدب ذي العينين البرتقاليتين.. الرأس الذي ارتفع

منه صوت ابنتي الخافت يقول:

- أمي.. أنا هنا!!..

• • •

اصفر

سوف أخبرك بالقصة كلها لكن من فضلك لا ترفع صوتك..

إن أعصابي مرهقة بما يكفي ولا أتحمل أي نوع من الحماس يتطوع به الآخرون..

في مراجع الطب يطلقون عليها اسم (زانتوبسيا).. قليلة هي حالات (الزانتوبسيا).. قليل هم الأطباء الذين سمعوا عن (الزانتوبسيا)..

تقول مراجع الطب إن مرضى الصفراء - حالات محدودة جدًا من مرضى الصفراء - يرون العالم أصفر.. هناك عقاقير معينة تسبب الحالة ذاتها..

من المخيف أن تر العالم وقد صار مصابًا بفقر الدم.. لو رأيت هذا على شاشة جهاز التلفزيون لأصابك الملح وجريت إلى أقرب خبير إلكترونيات ليعالج هذا الخلل، أما أن تراه بعينيك وأنت تعرف أن هذا هو ما تراه فعلاً، فإن هلعك لا يوصف بكلمات.. أما الأكثر إثارة للتوجس فهو أن هذه ليست حالة (زانتوبسيا).. لا يوجد سبب يفسر ما تراه الآن.. فهل هو الجنون؟



اسمي (محمد صري).. لا بد أنك خمنت ذلك.. لماذا؟..

لأنه لا يوجد واحد آخر في العالم يراه أصفر سوى (محمد صبري)..

بدأ كل شيء كما تعلم عندما صحت من النوم ذلك الصباح لأجد أن كل شيء في الكون أصفر.. فركت عيني مرارًا واتجهت إلى الحمام وغسلت وجهي وعيني.. غسلتهما حتى احترقنا تقريبًا ثم نظرت للكون من حولي: أصفر..

ماذا دهاني؟.. ماذا حدث؟..

لصحت النافذة ونظرت إلى السماء.. ما زالت فيها زرقاة اختلطت باللون الأصفر لصار المزيج أقرب للخضرة.. من قال إن الأخضر جميل؟.. أنا لم أر في حياتي أفتح من هذه السماء الخضراء..

عدت للداخل وحاولت أن أتماسك.. ثمة شيء ما خطأ..

كانت أمي قد صحت من النوم.. متاثبة خرجت من غرفة النوم وهي تحك شعرها.. ويبدو أن وجهي أثار قلقها لأنها سألتني:

— "ماذا بك؟"

قلت وأنا أوسع عيني عن آخرهما:

— "أصفر.. كل شيء أصفر!"

— "بسم الله الرحمن الرحيم!"

سألتها وأنا أرتجف في جنون:

— "هل ترين العالم أصفر من حولك؟"

قالت وقد زالت عنها إشارات النوم في لحظة:

— "لا.. كل شيء على ما يرام.. لا بد أنك مرهق.. إن عادة السهر مع أصدقائك هذه.."

قلت في عصبية وأنا أبعد عنها:

— "لو كنا لفضي أمسياتنا في احتساء الخمر وتدخين الحشيش وقتل الأطفال فهذا غير كاف لتبرير ما أراه الآن.."

عندما انتصف اليوم صرت واثقًا من أن ما أراه لا يراه أحد سواي..

ومر الوقت كالكاينوس حتى دنا عقرب الساعة من الثانية.. في هذا الوقت يتأهب الكهنة ويتجهون — حاملين أسرارهم — إلى عياداتهم الخاصة ليعبروا مقابل المال.. الكثير منه... وأنا بحاجة إلى كاهن... سامنحه ما يطلب مقابل أن يمنحني قيسًا من علمه..

الكاهن الذي قصده هو د. (سمير عبد العليم).. دكتوراه في طب العيون وزميل عدد من الكليات الغربية.. أجلس في عيادته أرقب العالم الأصفر.. ماذا لو كتب علي أن أراه بهذا الشكل ما بقي لي من عمر؟.. لا..

لا.. لا.. مستحيل.. ما أراه علامة مرضية لا ريب فيها.. وهذه العلامة المرضية سوف تعلن للكاهن الأكبر عن مرض أكبر وأخطر.. ربما يفنك بي.. لكن ما المشكلة؟.. من يريد أن يرى العالم أصفر ما تبقى له من عمر؟ لهذا حين جلست أمامه في المحراب، كان آخر شيء أرجوه هو أن يقول لي:

— "أنت سليم تمامًا!.."

ما تخشاه قد حدث.. إنها لعنة وأنت أول ضحاياها..

قلت له في عصبية:

— "لكني أرى العالم أصفر!"

قال في حنكة:

— "عيناك سليمتان تمامًا.. رؤية العالم أصفر تحدث في حالات محدودة

جداً وبالتأكيد أنت لست حالة منها.."

— "والعمل؟"

أشار إلى عينه وقال:

— "لا مشكلة هنا.. (وأشار إلى رأسه بحركة ذات معنى وقال) المشكلة

هنا.."

— "تعني أنني مجنون؟"

— "الجنون كلمة ابتذلناها من فرط الاستعمال.. هناك كلمة أخرى

اسمها العُصاب.. هناك أمراض في المخ تسبب استقبال الحواس بشكل خاطئ..

لا أعرف.. فقط أملك أن أتحدث عن مملكتي.. ومملكتي لا يوجد فيها مبرر

لرؤية الأصفر.."

هكذا فارقته أجر أذيال الحية.. وبحركات كالمزوم مفتاطيساً انجذبت إلى

شقة أخرى في البناية التي تعج بالكهنة.. هذا كاهن مخ لا بد أنه يملك

الجواب..

ثم بات رد كاهن المخ سريعاً بل أرسلني إلى كهنة آخرين قاموا بفحص

رأسي بالأشعة..

وكهنة قاموا بتوصيل الطاب بخفي وقرءوا النتائج على الورق..

ولي النهاية قال لي الكاهن الأكبر ما كنت أخشاه:

— "أنت سليم تمامًا!"

— "لكن ما أراه ليس مليحاً!.."

قال باسمًا:

— "إنه إرهاب لا شك فيه.. متناول بعض القويات واعتقد أنك

مستشفى خلال أيام.."

أي انه قال بعد كل هذا الجهد ما قاله أمي التي لا تقرأ ولا تكتب بعد
ثانية واحدة.. ماذا يتعلمون في تلك الكليات إذن؟

أصفر..

العالم كله أصفر.. السماء والسيارات وشفاة الفتيات والأزهار
وحقائب الطلبة والكلاب الضالة وعربات الإطفاء وإشارات المرور..

أصفر.. أوراقتي وثيابي الداخلية وشاشة التلفزيون ووجوه أصحابي..

أنا الوحيد الذي يعاني مشكلة كهذه وأنا الوحيد القادر على حلها..

سوف استرجع ما كان في حباتي الشهر الماضي...



ليلة الخميس عند صديقي (شريف).. عندما استبد بنا الملل ليلاً وقلت
له إنني أعرف لعبة مسلية حقاً...

هات رقعة من الورق المقوى واكتب عليها الحروف الأبجدية كلها.. هات
كوباً مقلوباً.. اجلسوا يا شباب حول هذه المنضدة وليضع كل منا إصبعاً على
قاعدة الكوب ولنظلم المكان.. سنجرب تخمين روح..

(شريف) كان قلقاً لأن هذه التجارب تتم في دارة لكنا سخرنا منه..

وهكذا جلسنا.. وهكذا مضى الوقت ونحن نتظر أن يحدث شيء..

أحياناً كان أحدنا يطلق مواء مفاجئاً فنشب في الهواء مترين.. عندها كان
بضحك بينما تنتظر له في قسوة..

— "لا يُستحب المزاح في أمور كهذه.."

نتنظر.. أبادل النظر مع (عصام) و(جمال).. أثنى أن أزحزح الكوب
بنفسي لأداعبهما.. لكن لا.. دعابة قاسية هي..

ومر الوقت.. وهنا يرتفع صوت (شريف):

— "كفى.. واضح أن هذه خزعبيات..."

هنا بدأ الكوب يتحرك.. لا خداع في الأمر.. لا أحد منا يحركه
بنفسه.. أنا متأكد من هذا..

يتجه الكوب إلى حرف (الكاف).. ثم حرف (الفاء).. ثم (الياء)..

ك - ف - ي

ك - ف - ي

يهتف (شريف) في حماس ممزوج بالهلع:

— "كفى.. يقول لكم كفى!"

الكوب يواصل الحركة:

أ - ن - ت - م / ت - ل - ع - ب - و - ن / ب - ا - ل - ن - ا - ر

س - ت - ح - ل / ب - ك - م / ل - ع - ن - ه / ل - ج - ش
- ي - ا - ط - ي - ن

هنا فقط لم تتحمل أعصاب (شريف) أكثر..

صرخ وأضاء النور ثم هتف بنا:

— "انتهى!.. لا أريد هذه الأمور في بيتي.. بالذات لا أريدها في غرفة

نومي!"

ثم حمل الكوب وأطاح به من النافذة..

قال (جمال) بصوت مبعوح من فرط التوتر:

— "ما رأيكم؟"

قلت بصوت مبعوح أكثر:

— "كان هناك شيء يقيئ.. وقد لى نداءنا!"

قال (عصام) وقد بدت عليه الجدية:

— "المشكلة هي.. هل أنصرف؟"

نظرت له ونظرت للرفعة ولم أستطع الرد..

كان هناك شيء.. وقد أنفدنا بأن لعنة الشياطين ستحل بنا.. لكننا لم

نعرف بعد هل أنصرف أم لا.. الآن حينما أفكر في الأمر يبدو لي هذا
مباريو لعنة..

هل هي لعنة الشياطين حلت بعني؟.. وماذا عن باقي المتورطين ملوثي
الأيدي؟..

• • •

استرجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

في مكتب الدكتور (داود) استاذ الكيمياء في كليتي..

لقد استدعاني - ليومني طبعاً - في ذلك الثلاثاء الحار.. دخلت
المكتب فلم أجده لكنني قدت أنه عائد حالاً.. هناك كوب ماء على مكتبه
وقدح فهوة ساخنة..

هكذا صمحت لنفسي بالجلوس..

رحت أتأمل صور أسرته على الجدار.. من الغريب أن لهذا الرجل أسرة
مثلنا.. يلبس المنامة ويجلس أمام التلفزيون ويعبث في أصابع قدميه.. لم يولد
من بطن أمه بالمعطف الأبيض حاملاً تحت إبطه مظروف أوراق الامتحانات..

الطقس حار فعلاً.. هكذا مددت يدي إلى كوب الماء وجرعت جرعة
لا بأس بها.. منذ طفولتي أعاني تلك المشكلة.. أنا أشرب أولاً ثم أتذوق بعد
هذا..

وهكذا أدركت أن هذا الذي شربته ليس ماء.. إنه سائل كويه له مذاق الزليق لو كان للزليق مذاق.. بصفت في منديلي ثم نسيت الأمر لأن الرجل دخل المكتب لحظتها فهبت واقفاً..

قال لي وهو يخرج أشياء من جيبه:

— آه.. هانتذا آيت يا أبا جهل.. إن درجاتك في امتحان أعمال السنة..

ثم تصلب ونظر إلى الكوب الفارغ وهنف:

— "من فعل هذا؟"

كنت أعرف أنني سألام على شيء ما، فهزنت رأسي في غباء بما معناه أنني لا أعرف.. قال وهو يمد تفحص الكوب:

— "غريب هذا.. كان خطأ فادحاً أن أضع المخلول في كوب ماء لكني لم أتوقع أن يدخل أحدهم مكتبي.. هذا ما تفعله الأمهات الجاهلات حينما يضعن صودا الفسيل في أكواب ماء لتبدو كالبين، ويشربها الأطفال.. كل حالات احتراق المريء في مصر تعود لهذا السبب الفبي.."

وحك رأسه في ضيق وغمغم:

— "وأنا فعلت الشيء ذاته.."

سأله في حذر وأنا أتحمس بطني:

— "هل ما كان في الكوب صودا غسيل يا سيدي؟"

— "ليته كان كذلك.. إنها تجربة أقوم بها حالياً ونتائجها هي...."

ثم بدأ عليه نفاد الصبر وقال وهو يجلس خلف مكتبه:

— "أنا متعكر المزاج الآن.. عد إلي في وقتٍ آخر.."

متعكر المزاج؟.. ومنذ متى لم يكن كذلك؟

الآن أتذكر هذا الحادث وأسأل نفسي: هل للسائل الذي كان في الكوب علاقة بما حدث؟

• • •

استرجع ما كان في حياتي الشهر الماضي..

و(ملوى) الفتاة التي صارت كل شيء في حياتي تسند رأسها إلى الشجرة..

لم أر حتى هذه اللحظة إنساناً أو بهيمة أو مكاناً أو حليماً أجمل ولا أرق منها.. لقد ذهبت بصوابي تماماً..

أذنو منها وأمس في أذنها كم أحبها..

تنظر في شروذ إلى الأفق وتغمس:

— "لا أعرف.. لو أنك عرفت حقيقي.. لو عرفت من أنا حقاً.. فلربما

بدلت هذا الرأي*.

هذا مشهد من فيلم عربي.. هل ستصارعني بأن أمها واقصة أو أن أبها هو (خط) الصعيد؟

نقول وهي تتهد:

— أنا من عالم آخر.. أو الأشياء ليس كما نرونها أنتم.. أسمع الأصوات ليس كما سمعونها أنتم.. أنا مختلفة.. هل تفهم هذا؟*

فعلاً هي مختلفة.. منذ جاءت إلى الكلية منذ ثلاثة أشهر وكل واحد منا يدرك أنها مختلفة.. لقد جاءت من عالم آخر فعلاً..

قلت لها:

— أتمنى أن أكون معك في هذا العالم..*

نقول وهي تنظر لي في شفقة:

— لن تحب هذا يا عسكين.. ربما تصحو يوماً فتجد السماء خضراء والعشب أحمر.. ربما تسمع رائحة الياسمين وتشم النجوم..

— ما دمت معك فلا أبالي لو شممت غيب الحمير وشممت الطين*

ضحكت كثيراً ثم قالت لي في ثبات:

— هل أنت متأكد؟..*

— متأكد..*

مدت لي إصبعها وضمت:

— هلم.. اجرح إصبعي وسأجرح إصبعك.. سوف نتبادل الدماء.. وهذا نصير من عالمي وأصير من عالمك..*

لم يد لي الأمر صحيحاً.. إن التهاب الكبد الوبائي ينتقل بطريقة مماثلة على ما أذكر.. لكن الرومانسية جعلت كل شيء ممكناً وفعلت كما طلبت وامترج دعائنا..

قلت لنفسي وقتها إنها رومانسية.. كل الرومانسيات يقطن الكلام ذاته..

لكن — الآن يتصلب شعر رأسي — ماذا لو لم تكن تزح؟.. ترى الأشياء لا كما نراها نحن.. السماء خضراء؟..

ترى أين كانت (سلوى) قبل أن تظهر لي كليتنا؟.. لا أحد يعرف عنوانها أو رقم هاتفها ولم يرها أحد تأكل أو تشرب من قبل..

وأنا خلطت دمي بدمها!

• • •

استرجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

صديقي (علاء) هو الذي أحضر اللقافة...

قال لي ضاحكاً:

— "لم يجزؤ أحد على فتحها قط..."

ضحكت بدوري في فكهم ونحسستها.. كان ملمسها عتيقاً فعلاً..

قلت له لي قلق:

— "هذه قطة خطيرة.. سرقة آثار لا يمكن إنكارها..."

قال وهو يضع اللقافة في يدي:

— "من سرق ماذا؟.. قلت لك إنني وجدتها في الأفصر.. ولو لم أدها

في جيبي لفعل أحدهم نفس الشيء..."

قلت له لي شغف:

— "هل تعرف شيئاً عنها؟.. إلى أية أسرة تنتمي؟..."

مط شفته السفلى بمعنى أنه لا يعرف ثم أضاف مآخراً:

— "تظاهر بالعقرية.. ولو قلت لك إنها من الأسرة السادسة مثلاً لما

فهمت شيئاً، ولما استغدت من هذه المعلومة..."

ثم أردف وهو ينظر حوله في حذر:

— "هذه الأشياء تكون ملعونة.. رأيي الخاص ألا نجازف بفتحها..."

قلت لي ضيق:

— "وهل تريد أن نبقها للأبد كحُرُز؟"

— "لا أعرف..."

— "الفضول قتل القط، وأنا قطٌ كبير..."

ومددت يدي أعالج أربطة الكتان المحيطة بها.. كانت هناك لوحةٌ على

صدر الشيء.. لوحةٌ دقيقة أنيقة غُثِلَ عين (رع) وقد خرجت منها إشعاعات

صفراء.. كأنها شمس أخرى..

— "جميلة.. تحفة فنية..."

— "لكن ما معناها؟"

— "غالباً تعد بأن (رع) سيخرب بيت من يفتح هذه اللقافة..."

وواصلت الفتح.. أخيراً بدأ لنا الجعران العملاق بحجم كف يدك..

كان متيراً للاشتزاز، لكنه جعل أنفاسنا تحقق في النهار..

قلت له (علاء):

— "كما ترى.. لم يحدث لنا شيء.. لا أعقد أن الفراعنة كان عندهم

وقت كاف لحماية مومياء جعران..."

اليوم أفكر في الأمر ملياً.. لماذا عين (رع)؟.. ولماذا اللون الأصفر؟

أسترجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

هل هي لعنة الشياطين حلت بشباب عابث يلعب بالنار؟ أم هي وصفة
كيميائية شريرة ذات آثار جانبية مخيفة؟.. أم أنني فعلاً عبرت لعالم (سلوى)
وعبرت منه.. عالم الذين يرون كل شيء بلون مختلف؟.. أم ان لعنة كهنة
(رع) أصابتني؟.. أم انه لا تفسير هنالك؟

كل شيء من حولي أصفر..

الكتب.. الأبواب.. رجال الشرطة.. القطط.. السماء.. السيارات..
شغاه الفتيات.. الأزهار.. حقائب الطلبة.. وجهي في المرآة.. الكلاب
الضالة.. عربات الإطفاء.. أوراقني.. ثيابي الداخلية.. شاشة التلفزيون..
وجوه أصحابي.. ساعة الحائط.. أوراق العملة.. الخديقة.. ثوب أمي.. شعر
أبي.. الحائف.. متاجر وسط البلد.. الشاي.. القهوة.. السجائر.. الجعران..
معطف الدكتور (داود)..

أصفر..

وأنا جالس في غرفتي وحيداً أسترجع خيط الأحداث وأفكر.. ما
الشيء الذي جعلني أرى العالم أصفر؟!

أنا لا أعرف.. فهل عرفت أنت؟

• • •

أخضر

"الواقع أنني أكره عملي هاهنا.. الواقع أنني لا أجد جدوى لحياتي ذاتها..
الواقع أن الشيء الوحيد الذي يدفعني للاستمرار هو... الدكتوراة (مثال)."

• • •

السبت 15 مايو..

الفائدة الوحيدة للملل هي أنك تجد الوقت الكافي لكتابة مذكراتك..
صحيح أنه لا يوجد شيء ذو قيمة في هذه المذكرات، لكنها مذكراتي أنا ولا
تعني أحداً سواي.. لا أحتاج لأن أكون رائد فضاءٍ لأحظى بشرف كتابة
مذكراتي!

أنا عامل نظافة بالمناسبة، وهذا قد يدفعك لترك القصة والانتقال إلى
القصة التالية، لكن من سيتجاوزون امتعاضهم من عملي هذا، وسيواصلون
القراءة؛ قد يكشفون أن حتى عمال النظافة قد يوجد لديهم ما يقولونه في
بعض الأحيان..

هذا هو ثاني أيام عملي في مؤسسة (اسم لاتيني معقد لا يمكنني نطقه أو
حتى كتابته!) التي تدبر سلسلة من الأبحاث العلمية عن أشياء لا يعرف إلا
الله الغرض منها بالضبط.. أحدهم يقضي حياته أمام فأر أبيض في قفص،
وآخر يحقن الفواكه بعقاقير عجيبة، وهناك من ينظر طيلة اليوم إلى شريحة

ضيلة عبر الميكروسكوب، ليدون ملاحظاته كل نصف ساعة..

و هناك الدكتور (منال)..

حين عرض عليّ قريبي - وهو عامل نظافة هو الآخر - العمل هنا، لم اكن متحمسًا علي الإطلاق، لكنني كنت في حاجة إلى المال.. أي مال بأي طريقة.. ولأنني لا أجيد السرقه أو النصب ومصاب بمرض نادر في العضلات يمنعني من العمل كبايع متجول، بدا أن العمل كمامل نظافة هو الحل الأمثل لي..

أنقل القمامة من سلة المهملات إلى العربة التي أجريها أمامي طيلة اليوم، ثم أفرغ العربة في أنبوب خاص في قبر المني.. هذا هو كل شيء، والأمر لا يحتاج لمواهب خاصة كما لاحظت.. المشكلة هي أنني متعلم - حصلت على الإعدادية - وعيب التعلم الوحيد هو أن نفسك قد تعف عن ممارسة الأعمال التي يؤديها الجهلة بنفس راضية مطمئنة..

لكن هناك الدكتور (منال)..

أعشق القراءة منذ صغري، لكنني من أسرة لا تسمح إمكانياتنا المادية باتباع الكتب إلا المستعمل منها وإن نقصت صفحاته، وها هي المشكلة ذي تتكرر.. أنا هنا أقضي طيلة اليوم، في لا شيء تقريبًا، ولا يوجد أمامي ما يصلح للقراءة سوى تلك المراجع الضخمة، ذات الأغلفة المصقولة،

والكلمات اللاتينية التي تحتاج إلى أكثر من شهادتي الإعدادية لفك طلاسمها..

الحل إذن.. أن أكتب مذكراتي..

وسيلة لا بأس بها لقتل الوقت، وإن كان عليّ تحمل نظرات السخرية من زملائي والعاملين هنا..

عامل نظافة يكتب مذكراته.. باللهول!!

لكن هناك الدكتور (منال)..

إنها.. إنها.. زهرة هذا المكان.. النجمة الوحيدة التي غر عبر المعرات الكية لهذه المؤسسة.. الوحيدة التي أقنعتني بأن العمل هنا لا بأس به، إن كنت صاصب ابتسامة منها كل يوم.. وأنت لم تر ابتسامة الدكتور (منال)!

صدقني.. إنها تستحق..

لكن ما الذي تفعله الدكتور (منال) بالضبط؟!

الواقع أن هذا يستحق بعض الاهتمام..

• • •

الأحد 16 مايو..

أمتع ما يمكن لإنسان فعله هو أن يراقب الذكورة (منال) وهي تعمل..
ترتدي المعطف الطبي الأبيض.. تدخل إلى تلك الجمعية الطبيعية التي
صممها المؤسسة خصيصًا لها لتمارس تجارتها على النباتات.. وموسيقى
هادئة تبعث من جهاز التسجيل.. بالنسبة لهم - من يديرون المؤسسة -
لكل نبات داخل الجمعية اسم علمي منمق، وملف بالتجارب التي تمت على
هذا النبات، والذكورة (منال) ذاتها تمثل ملفًا هي الأخرى، يسجل فيه كم
ما حققته للمؤسسة حتى الآن من نتائج.. هذا بالنسبة لهم..

بالنسبة لي كانت الذكورة (منال) تبدو كسندريلا وسط الزهور
وأوراق النباتات، كأنها تصنع معهم لوحة طبيعية متحركة، هي بطلتها
الوحيدة..

كانت الذكورة (منال) دائمًا ما ترحب بي داخل محبتها، وكثيرًا ما
تركبني أراقبها وهي تحمل أصيص زرع، لتضعه على جهاز عجيب، يُخرج
شرائط ورق عليها خطوط متموجة..

أي أحمق لن يفهم معنى هذه الخطوط، لكن الذكورة (منال) شرحت
لي.. إنها تعبر عن إحساس النبات، فهي تتناسب بنعومة حين تتوفر للنباتات
البيئة المثلى، بينما تتلوى بجنون؛ إذا قطعت أحد أوراق النبات وهو على

الجهاز..

"النبات يشعر ويتألم.. وربما يُحب!"

هكذا قالت لي الذكورة (منال)..



الاثنين 17 مايو..

اليوم أخبرني الذكورة (منال) أنهم عثروا على فصيلة نادرة من
النباتات.. على بذور هذه الفصيلة بالتحديد.. سبع بذور لمزيد من الدقة..

أخبرني الذكورة (منال) أن البذرة الواحدة تساوي ثروة، لكنها إن
لمجعت في زرع أحد هذه البذور في البيئة المناسبة، وقامت بإجراء تجاربها
على النبات ذاته، فقد تحقق السبق العلمي الذي طالما سعت إليه..

ساعدنا بنفسه على إعداد أصيص الزرع، ودلفنا البذرة الأولى في
السماط الصناعي الذي يحتوي على كل ما يشتهيها النبات من مواد
وأصلاح.. لم يكن الأمر شاقًا بالطبع ولو كان، فالذكورة (منال)
تستحق..

أخبرني الذكورة (منال) أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا، وهذا معتاد..
وأنا أثق في كل ما تقوله الذكورة (منال)..

كل ما عليّ فعله هو أن أدعو الله أن ينبت هذا النبات سريعاً من أجل
الدكتورة (منال) ..

وهذا ما سأفعله!



الثلاثاء .. 18 مايو ..

لكم هي متفانية .. لكم هي رائعة ..

أراها كل يوم - الدكتورة (منال) ولا أحد سواها! - تعني بأصيص
النبات الجديد، كأنه طفلها الرضيع .. أحياناً أشعر أن هذه البذور داخل
الأصيص هي أول رابط حقيقي بيننا .. كأنها ابنتا الذي لن يولد!

نجلس يومياً نراقب الأصيص لساعات طويلة، منتظرين تلك اللحظة
الجهنمية، التي سيخرج فيها البرعم الأخضر إلى السماء، ليعلن عن
وجوده .. لكن الانتظار سيطول ونحن نعرف هذا ..

رأيتها وقد استندت إلى الفضول، تضع أصبص النبات في الجهاز الذي
يسجل الموجات التي يصدرها النبات، وقالت:

سلي الأقل منعرف إن كانت البذرة حية ..

لكن شرائط الورق التي خرجت من الجهاز، كانت تعمل خطأ مستقيماً

طويلاً، كالذي يصدره جهاز رسم القلب حين نحين لحظة النهاية .. لقد رأيت
جهاز رسم القلب حين كان متصلاً بوالدتي - يرحمها الله - وأعرف معنى
هذا الخط السخيف جيداً ..

بدا الإحباط على الدكتورة (منال)، وقالت:

- سأتركه للغد، ثم سأجرب مع بذرة أخرى ..

حاولت مواساتها، لكنني وكما قلت من قبل، لا أملك لها سوى
الدعاء ..

وهذا ما سأفعله مجدداً ..



الأربعاء .. 19 مايو ..

لا زلنا ننتظر ..



الخميس .. 20 مايو ..

قررت الدكتورة (منال) الإبقاء على الأصيص الأول، لكنها وضعت
البذرة الثانية، في أصيص جديد، ولا زلنا ننتظر ..



الجمعة.. 21 مايو..

مقى ياني الغد؟!

• • •

السبت.. 22 مايو..

مزيد من الإحباط!

• • •

الأحد.. 23 مايو..

لم أتوقع أنا أو الدكتورة (منال) تلك المفاجأة المذهلة!..

كنا أول من وصل إلى المؤسسة كعادتنا منذ فترة، لتسرع سونيا إلى
الخميرة الطبيعية على أمل مستمر في جديد.. أي جديد..

لكننا هذه المرة حين وصلنا كان المشهد أمامنا أشبه بمعجزة..

كان أصبغ الزرع أمامنا وقد نما ذلك النبات النادر بصورة جهرية،
في صورة مجموعة ضخمة من السيقان الخضراء اللطيفة حول نفسها بتشكيل
عجيب معقد، وبارتفاع لا يمكن حدوثه في ليلة واحدة..

ليس هذا فحسب، فإحد الأصبغ كان على جهاز تسجيل الموجات،
الذي أخذ يقذف في وجوهنا شرائط ورق تحمل تموجات عنيفة، لم أر مثلها

من قبل..

لا يمكنني أن أصف لك كيف كانت حالة الدكتورة (منال)، لكني
سأتجاوز ذهاباً من هذا الذي حدث، وسأنقل لك اللحظة التي أمسكتُ
فيها شرائط الورق، لتفحص التموجات باهتمام علمي يليق بها تماماً..

استغرقت وقتاً طويلاً، قبل أن تقول:

- لست أفهم..

نجرات أنا لأسأل:

- هل يتألم هذا النبات؟ أعني ربما لا تناسبه البيئة هنا..

لكنها هزت رأسها لقول:

- لا... هذه التموجات طبيعية، لكنها مضخمة، كان غابة كاملة التي
تصلرها..

وعادت لتفحص الأوراق، مكررة:

- لست أفهم..

لذت بالصمت لأسمح لها بالتركيز، وحين طال صمتها قررت أن أتركها
لأواصل عملي - إنني لست المستول عن مراقبتها هنا - لكني قبل أن أترك
المكان، التفتت إلى الدكتورة (منال) لسأل:

- لحظة... أنا لم أضع هذا الأصبع في الجهاز أمس . كيف انتقل إذن؟! ..

• • •

الاثنين 24 مايو..

الدكتورة (منال) تغيرت..

لم تعد تلاحظ وجودي، بل أصبحت لا تلاحظ أي شيء يحدث حولها، وقد انصب اهتمامها كله على نباحها النادر، الذي يدأت أمقته دون سبب مفهوم..

إنه.. إنه بنافسني على الدكتورة (منال)!

اليوم مررت عليها لمتابعة آخر التطورات، حين حدث ذلك الشيء العجيب الذي أثار هلمي..

كانت الدكتورة (منال) تمسك بأحد أوراق النبات تفحصها بعناية مبكرة، وكنت أنا عند الباب في هذه اللحظة، أناديها قائلاً:

-أي خدمة يا دكتورة (منال)؟

ويبدو أنها كانت مستغرقة تماماً فيما تفعله، إذا انتفضت على صوتي، والفتت لي بحدة وهي لا تزال تمسك بورقة النبات، لتقطعها دون قصد..

دون قصد لكن النبات لم يقدر هذا..

فجأة تلوت فروع النبات كله بحركة المعوانية عجيبة، وأخذت تنفث ذلك البخار الأخضر في سماء الغرفة..

أخضر.. أخضر.. أخضر.. لتوان استحال لون المكان كله إلى الأخضر..

صوت الهسيس الصادر عن النبات امتزج بصرخة الدكتورة (منال) المذعورة، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أقفز في اللون الأخضر أمامي، لأنقذها من أي شيء قد يجرؤ على التعرض لها..

كانت الرؤية منعقدة أمامي، لكن العجيب أن هذا البخار كان بلا رائحة على الإطلاق كأنه مجرد صبه للهواء، لكنني تجاهلت هذه الحقيقة حينها وأخذت أتمسك بطريقي حتى اصطدمت بذراع الدكتورة (منال) لأقبض عليها بقوة، هائفاً:

-لا تقلقي.. سأخرجك من هذا..

لكن يداً حديدية قبضت على عنقي بغتة لتخرسني، ولتبدأ في اعتصامه بقوة لا ترحم!!

وكرر فعل طبيعي ازدادت قوة قبضتي التي تقبض على ذراع الدكتورة

(منال) فارتفع صوت صراخها أكثر، وقد أصابنا هذا اللون الأخضر -
اللعين - بالعمى تمامًا..

كنت أختلق وبدأ وكان حنجري مستهشم في أية لحظة، فتركت ذراع
الدكتورة (منال)، لأحاول إبعاد تلك اليد المخيفة عن عنقي لكن دون
جدوى..

أختلق ببط واللون الأخضر البهيج يغمري من كل صوب!..

يتحول اللون الأخضر إلى أسود وقد غاب الهواء من جسدي، وتراخى
ذراعي جوارى باستسلام وصراخ الدكتورة (منال) يتردد في أذني و...
و...

وما حدث بعد ذلك رواه لي قريبي الذي أحضرني إلى هنا..

صراخ الدكتورة (منال) اجتذب الجميع إلى المحمية، حيث تعاونوا على
إخراجنا حين - لحسن الحظ - لكن هذا ليس كل شيء..

شيئان أخبرني بهما قريبي أثناء ذعري، وإلى أقصى حد..

أولاً.. أنه لم يكن هناك دخان أخضر حين دخلوا الغمية... لم ير أحد
هذا الدخان!!

ثانياً.. أن اليد التي كانت تقبض على عنقي، والتي كادت تقتلني،

كانت يد، الدكتورة (منال) ذاتها!!

• • •

الثلاثاء.. 25 مايو..

لم أستطع الذهاب إلى العمل، إذ لازلت تحت تأثير صدمة أمس..

توى أين هي الدكتورة (منال) الآن!!

• • •

الأربعاء.. 26 مايو..

الدكتورة (منال) لم تأت إلى العمل اليوم..

• • •

الخميس.. 27 مايو..

لقد بدأت أفلق على الدكتورة (منال).. إنها لم تأت اليوم أيضاً..

• • •

الثلاثاء.. 2 يونيو..

لقد اختفت الدكتورة (منال)!!

قضيت الأيام الماضية في انتظارها ثم بدأت أبحث عنها، حتى إنني تمكنت

- بوسيلة ما - من الحصول على عنوان منزلها، وذهبت إلى هناك لأطمئن عليها - وإن كان هذا ليس من حقي في الواقع - لكنني لم أجدها هناك كذلك..

أين ذهبت الدكتورة (منال) 1199؟

• • •

الجمعة.. 6 يوليو..

لم أعد منتظماً في كتابة مذكراتي لكن ما حدث اليوم يستحق التسجيل حقاً..

في الساعة مساءً كنت أتابع ذلك البرنامج التلفزيوني الشهير، حين سمعت طرقاً على باب منزلي، فنهضت متعلماً لأفتح الباب، وأنا أدعو الله ألا يكون الحماس قد استبد برفاقي، ودفعهم للمجيء إلى هنا، لكنني حين فتحت الباب أطلت على الدكتورة (منال) بابستها الهادئة، تصيغي بحالة من الدهول عجزت معها عن النطق..

كانت هي من نطقت لقول:

-مرحباً..

-أين كنت؟... بحثت عنك في كل مكان... أعني... لقد قلت و...

-ارتد ملابك وهيا بنا..

-إلى أين؟!

-إلى هناك.. إلى المحمية..

سأتجاوز كل التفاصيل التي لا داع لها وسأقفز إلى اللحظة التي دخلنا فيها إلى المحمية لنجد نباتنا النادر وقد استطال حتى كاد يلامس السقف..

لست أفهم شيئاً في النباتات، لكن نحو هذا النبات غير طبيعي وأنا أثق في هذا..

"هذا النبات غير طبيعي.."

فالتها الدكتورة (منال) وكنت أعرف هذا مسبقاً، ثم واصلت:

-الدخان الأخضر الذي نغمناه.. لقد كان ذا تأثير غير طبيعي.. لقد قضيت الأيام الماضية في دراسة تأثير هذا الدخان علينا..

سألها بخن:

-وهل توصلت إلى شيء محدد؟!

-خمس نبض يدك رجاء..

- لماذا؟!

-لأنك لن تشعر بشيء!..

ماذا؟!!!

وتحسست يدي بدهشة بحثا عن أي نبض، فحولت دهشتي إلى ذعر حقيقي حين شعرت بيدي الباردة ميتة غامقا، لا نبض فيها ولا حياة..

ألقت إليّ الدكتورة (منال) بسماعة طيبة قاتلة بذات الشرود:

-خذ هذه لو أردت التأكد، لكنني سأخبرك بالنتيجة مسبقا.. لا نبض... قلبك توقف عن الخفقان.. مثل قلبي بالضبط..

شعرتُ بالسخف مما اسمعه، لكن يدي الباردة ظلت صامتة، لا تنقل إلى أناملتي أي نبض، فجزيت أن أضع السماعة الطيبة على صدري، وبعد إصغاء استمر لبضع دقائق.. تأكدت لي حقيقة أن قلبي متوقف عن العمل غامقا..!!

خط طويل مخيف... هذا هو ما سيسجله جهاز رسم القلب لو وصلوه إلى صدري الآن..

سألت والأفكار تنور لي رأسي:

- وما الذي يعنيه هذا؟!.. هل.. هل متا؟!!!

لكن إجابتها جاءت أكثر غرابة:

- لا... لم تحت... بل نتحول..

• • •

السبت.. 7 يوليو..

من الآن عليّ الانتظام في تسجيل مذاكري لتسجيل أي تغيرات تطرأ على جسدي كما طلبت مني الدكتورة (منال)..

عادتُ الدكتورة (منال) إلى العمل، لتواصل دراستها على ذلك النبات الشيطاني، المستمر في النمو، حتى كاد يحتل الخمية الطبيعية كلها، بسيغاته المتفرقة، وأوراقه التي تُصدر ذلك الغاز الأخضر إذ قُطعت..

يجب أن نفهم ما حدث لنا.. يجب.

حين عدتُ إلى المنزل، فحضتُ جسدي أمام المرأة بحثا عن أي تغيرات، فلم أجد شيئا غير طبيعي..

لازلتُ نحيفاً كيب الملامح، ولا زالت عظامي البارزة تؤكد على فقري المدقع..

فقط لا قلب ينبض رغم استحالة هذا طبيًا أو علميًا كما أكدت لي الدكتورة (منال)..

لكننا قررنا الاحتفاظ بهذا كله سرًا، حتى تستطيع الدكتور (منال) كشف طبيعة ما أصابنا..

ترى هل تستطيع الدكتورة (منال) فعل هذا حقًا؟!!

• • •

الأحد.. 8 يوليو..

على الأقل أصبح هناك رابط حقيقي بيني وبين الدكتورة (منال)..

حالتنا العجيبة أزالنا حواجز كثرة بيتنا، وأصبحت أفضي جمّ وقي معها في الغمّة الطبيعية، حتى بعد انتهاء الدوام الرسمي...

لا حظنا أننا فقدنا شهيتنا للطعام، كأنما أصبح جسدنا الميت يأبى أي طعام... كذلك تقلصت ساعات نومنا إلى ساعتين فقط ويبدو أننا في طريقنا للإصابة بالأرق الدائم...

الدكتورة (منال) تحولت إلى آلة رصد، ترقب كل ما يفعله النبات، وتدرس تلك التموجات المتضخمة التي يصدرها، على أمل أن نحمل لنا أي تفسير...

على كل حال لم يحمل لنا اليوم أي جديد...

فقط لاحظت أنني حين جُرّحت يدي بطريق الخطأ، لم أنزف أي دم..

سؤال آخر ننتظر أن يجيبنا عليه هذا النبات النادر..

فهل يفعل؟!!!

• • •

الاثنين... 9 يوليو..

لم نعد ننام وأصبح الإرهاق هو السمة الغالبة عليّ وعلى الدكتورة (منال)..

المستولون عن المؤسسة لا حظوا وضعنا ولم يدعوا أي اعتراض، ولا بد أنهم اعتدوا ملفًا جديدًا عنّي يسجلون فيه ملاحظات مبهرجة..

لكن ملف النبات ذاته ظل يحمل علامات استفهام لا إجابات لها، حتى قررت الدكتورة (منال) إجراء تجربة عجيبة لم ألهمها بالضبط، لكنني سأنقل لك ما قالته لي حرفيًا:

سنحاول تحويل هذه الموجات التي يصدرها النبات إلى صورة أخرى من صور الطاقة، علّنا نفهم ما الذي تعنيه..

وعملًا بهذه القاعدة أحضرت الدكتورة (منال) مجموعة عجيبة من الأجهزة، أخذت توصلها بالجهاز الذي يُسجّل موجات النبات..

وأخذت أنا أراقب هذا كله منتظرًا أي نتيجة..

على كل حال مرّ اليوم سريعاً دون أن نظفر بهذه النتيجة المرجوة..
و ما زلنا نتظر..

• • •

الثلاثاء.. 10 يوليو..

يجب أن أسجل كل ما حدث بسرعة فلا وقت أملكه..
اليوم تمكنتُ الدكتورة (منال) من حل لغز هذه التموجات، فلقد
استخدمت.. ال... لا وقت.. بسرعة.. الكمبيوتر فعلها وبرامج الترجمة
حولتُ لنا ما يقوله النبات إلى... لا وقت.. لا وقت..
الدكتورة (منال) أوصلت الأجهزة الجديدة بالكمبيوتر الذي قرأت
على شاشته هذه الكلمات الرهيبة:
(حان وقت عودتنا... هناك أجساد بشرية تصلح لعملية الانتقال..
هذه الكلمات كان يصدرها النبات في صورة الموجات المتضخمة،
وهذا يفسر كل شيء..
أجسادنا ميتة لأنها لم تعد ملكنا، بل ملكهم..

من هم 11؟

لا أعرف ولن أجِد الوقت لأفعل، الدكتورة (منال) وجدت حلاً جليوياً
للمشكلة كلها..

إنما تشعل النار الآن في المحمية بعد أن حبتنا فيها.. حاولتُ منعها
لكن...

ربا الله..

النبات... إنه....

.....

• • •

الملف (1019) قسم الأبحاث العلمية

إلى هنا تنتهي المذكرات التي عثرنا عليها بعد أن احترقت الحمية الطبيعية، ولولاها لما فهمنا شيئاً مما حدث..

الدكتورة (منال) وعامل النظافة المسكين - الذي لا أفهم كيف كان يكتب مذكراته هذه - كانا الضحيتين الوحيدتين للحريق..

يبدو أن الدكتورة (منال) كانت تحاول التخلص من النبات، لكنها فشلت!

النبات لم يحترق كان النار لا تؤثر فيه بالمرة وهكذا تمكنا من دراسته لفهم ما حدث.. وما سيحدث..

النبات كان يصلر غازاً خاصاً يؤثر على الأعصاب، ويصيب من يتعرض له بالجنون، وهذا يعني أننا لمجتهنا...

هذا هو السلاح البيولوجي الكامل كما أردنا، ولولا أننا قررنا التضحية بالدكتورة (منال) لما تأكلنا من فاعليته..

يمكننا الآن إغلاق الملف..

وإعلان أن التجربة نجحت..

د. عادل فهمي

أزرقه

يطلقون عليها الزرقاء الرمية..

الاسم نفسه مثير للتوجس.. لكنها علامة مهمة جدًا في الطب الشرعي.. لأنها تحدد الموضع الذي كانت عليه الجثة في الساعات القليلة التالية للوفاة، ولكم من متحور وجدوا الزرقاء الرمية على ظهره، مما جعلهم يدركون أنه قتل قتلًا على الأرض، ثم علقه قاتله على المشنقة ليخدع رجال الشرطة.. إن القصاص المشاة كثيرة جدًا..

يطلقون عليها الزرقاء الرمية..

وأنا أحب اللون الأزرق، وأكره أن يرتبط بشيء رهيب مثل الموت.. لكن - للأسف - يظل لون الجثث الباردة والأطراف المرسحة للبراز أزرق.. أردنا هذا أو لم نرد..



كنت طالبًا فقيرًا في تلك المدينة الصاخبة العجوز.. لا تسأل عن الظروف ولا الضغوط التي جعلتني أعمل في المشرحة.. نحن لا نختار الوظائف التي نعرض علينا وقد كنت في حاجة ماسة للعمل..

كان صاحب المشرحة ومديرها ورئيس مجلس إدارتها هو عم (عثمان).. وهو رجل نوبي ظريف له جلد يشبه الباذنجان الأسود، وكان من أسرة اعتادت العمل هنا منذ دهور. في كل عام تطرح المستشفى مناقصة لمن يتولى

أمور المشرحة لأعلى إيجار، فكان هو يفوز بها في كل مرة، ومن يمنعه من ذلك يكن هو الجنة التالية الراقدة في هذه المشرحة..

والسبب؟.. من قال إن عمل المشرحة ليس مربحاً؟.. إنه حانوني يكسب الكثير، ودخول المتولين في المستشفى إجباري إلى مشرحته هو.. لا أحد يهرب.. عندها يعامل أهل المتولي كما ينبغي.. أسعار سياحية لا تسمع عنها إلا في أفخم فنادق البحر الأحمر.. والناس مضطرة إلى الدفع لأنهم يريدون إلهاء عذابهم سريعاً..

كنت أساعده في عمله وبالطبع أتاك جزءاً من الغنيمة.. لم أكن ألتقي راتباً، لكن النسب التي كان يمنحني إياها كانت تكفيني لأسدد مصروفاتي وأرسل مائتين أو ثلاثة إلى أسرتي في القرية..

طبعاً لم يكن أحد في بلدني يعرف طبيعة عملي.. كنت أزعجهم أنني أنسخ المستندات في مكتب ما.. لو عرفت أُمي بمصدر المال الذي أرسله لتشاءمت وأبت أن تمسسه.. وهو تفكير قاصر طبعاً لأن العمل هو العمل.. لا بد من باتس ما يفتس في المجاري لتسليكها، ولا بد من باتس ما يصطاد الكلاب المصابة بالسعار والجرب، ولا بد من باتس ما يقوم بربط فكوك الموتى بالشاش.. هذه أشياء كصلاة الجنائز: إن قام بها واحد سقطت عن الجميع، وإن لم يقم بها أحد أثم الجميع..

على أن هذه المهنة نفعاً لا شك فيه. إنما تعلمك التواضع.. تجعلك متديناً بحق ما لم تكن لصاً أصيلاً مثل عم (عثمان).. أنت هنا تعيش في المنطقة الفاصلة بين الموت والحياة، وكل زبائنك كانوا يتزحون ويدخنون ويدبرون المكائد منذ أربع أو خمس ساعات.. الآن هم أشياء رهيبة تروقد بانتظار من يريحها الراحة الأخيرة.. إنما لعبة كراسي موسيقية.. اليوم أنت واقف هنا وهم رقدوا. غداً أنت راقد على هذه المنضدة وهناك من يقف..

لهذا كنت أكثر من قراءة القرآن.. وأحافظ على ميقات الصلاة بدقة..

سوف أعترف بأن هذه الفترة هي أخصب فترات حياتي من الناحية الدينية..

أعتقد أن الأمر يتعلق بدرجة معينة من الشفافية.. ثمة حاسة سابعة أو ثامنة قد استيقظت في أعماقي مع هذه التجربة الغريبة.. التدين.. معايشة الموت.. العزلة.. الجهد الصادق.. وفي الأيام الأخيرة تكررت معي تلك الحوادث الغامضة التي تمر بنا من حين لآخر.. تفكر في صديق فتجده أمهلك.. تشعر بانقباض فتحدث كارثة.. الخ.. لكنني لم أحاول أن أتوقف كثيراً مع هذه الأحداث..

بدأ كل شيء أمس..

في التاسعة مساءً دخلت المحفة إلى المكان.. حينما تمارس أية مهنة لها

علاقة بالطب أو الموت، لابد أن تُميز أذنك صوت الخفة وهي بعد في الممر الخارجى.. وكنت وحدي تلك الليلة..

كان الرائد على الخفة رجلاً في الخمسين من العمر.. يبدو أنه ليس معدياً..

وقال لي أحد الرجلين اللذين جاءا به، وهما رجلان لم أرهما قط هناك:

— "وجدوه ميتاً في الزقاق المجاور.. لا يبدو أن هناك جريمة في الأمر.. لا أوراق.. إنه ناقص الأهلية.."

وقال آخر وهو يحفف عرقه:

— "ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن.. وربما لم تكن له أسرة.. لا نعرف.."

رفعت الملاءة وتاملت وجهه ثم سألت في حيرة:

— "ما سر هذا اللون الأزرق الذي تلون به جلده بالكامل؟"

قال أحدهما بلا مبالاة:

— "وما الفارق؟... لو كان لونه أحر لسألت السؤال ذاته.."

وقال الآخر بلا مبالاة هو أيضاً:

— "ربما كان يشغل في الأزرق"

قالها دون أن يضحك، وكذا لم يضحك أحد.. هناك دعايات تقال لكنها لا تطالب بجمهور أو حتى أداء على.. تقال مجرد إخراج الملل أو الضغط العصبي.. على كل حال لابد أن عني ليستا على ما يرام.. فلما اشعر أن المسفين أيضاً لوقمما أزرق.. معنى هذا أنني أخرف..

وهكذا تسلمت هديتهما الرهيبة، ففتحت درج السلاجة الكبير ووضعت فيها ذلك البالس..

لم يكن الطب دراسي لكني قرأت كل ما وقع لي يدي من مواضيع طبية كتبت بالعربية.. هناك حالات معينة من الموت بالغازات تسبب هذا اللون الأزرق.. أول أكسيد الكربون يجعل لون القتل أحمر لذا يسمونه (الموت الأحمر).. لن أعرف الإجابة لكن دعني أؤكد لك أن زرقه هذا الموتى كانت تختلف عن زرقه الموتى التي أعرفها.. كأن هناك من ألقاه في دلو به طلاء أزرق بمجرد وفاته..

بعد ما خلا المكان عدت إلى جلستي السابقة.. كوب الشاي ولقافة التبغ.. أعترف أنني كنت أدخن من حين لآخر.. وهي خطيئة بالنسبة لمن هو مثلي في حاجة لكل مليم، لكني كنت أسمع لنفسى بما من وقت لآخر لأعتقد أنني (أمرح).. جوار لقافة التبغ الكتاب الذي كنت أدرس فيه.. أنا طالب في كلية الآداب برغم كل شيء..

حاولت أن أركز فيما أقرأ لبعض الوقت، لكن شعورًا غريبًا من التوتر استبدني.. أعرف هذا التوتر غير القابل للتفسير والذي يحدث أحيانًا ويمضي أحيانًا... خوف؟ لا.. لقد كُفّت هذه المهنة عن أن تشير في أي شيء سوى الملل..

خيل إلي أنني أسمع صوتًا ما من داخل الثلاجة.. هذا أيضًا شيء معتاد في المهنة.. لا بد حينها تكون وحيدًا ليلًا أن تسمع جلبة من حيث يرقد الموتى.. ظاهرة ينصب لها شعر رأسك في البداية.. ثم تتعلم مرة بعد مرة أن المصدر الوحيد للصوت هو عقلك المكسود..

لكني قررت برغم كل شيء أن أخض متاقلاً.. اتجهت إلى الثلاجة وفتحت درجها العملاق.. كان الموتى حيث هو لم يتحرك.. أزحت الملاءة وأعدت النظر إلى وجهه.. بالفعل تتزايد الزرقاء أكثر فأكثر.. لا بد من تفسير لهذه الظاهرة.. إنه رجل أشيب الشعر له ملامح نبيلة.. أنفه معقوف كمنقار النسر وله شفتان رفيعتان حازمتان.. واضح أنه لم يتعذب كثيرًا أثناء احتضاره..

قرأت الشهادتين وأعدت غلق الدرج وعدت إلى منضدة الدراسة..

بعد قليل سمعت صخبًا.. أعرف هذا النوع من الصوضاء..

كان القادم هو (مدير أعمالي).. عم (عثمان) جاء ليمضي بعض الوقت هنا ويفقد الأحوال..

لم يكن وحده.. كان معه رجلان.. وقد حياني بطريقته النوية الطريقة ثم اقتادهما إلى الحجرة الجانبية الصغيرة التي كانت حمامًا ثم جعلها مكتبًا له، وهو أغرب مكتب يمكن تخيله.. مكتب له دوش يتدلى من السقف وماسورة تنحدر على السراميك.. ثم ينتهي كل هذا فجأة.. وكان في المكان مكتب عتيق صدي من طراز (إيديال) وثلاثة مقاعد خشبية من طراز مقاعد المقاهي.. لهذا كان يطلق على المكان ببساطة اسم (الدورة)..

دخلت إلى حيث جلس مع الرجلين وانتشر الدخان في هواء الغرفة الضيقة، ففلت له غير القادم الغريب.. هز رأسه بمعنى أنه مطمئن لكل شيء ما دمت موجودًا..

كان يتكلم بينما أنا أنظر إلى الرجلين..

هذا الوجه..

الرجل الذي يلبس قميصًا أبيض.. هذه الملامح الوقور.. هذا الألف المعقوف الشبيه بمنقار النسر.. هذا الشعر الأشيب..

أين رأيت هذه الملامح من قبل؟



بعد قليل خرج عم (عثمان) من الغرفة لوى ما لىدى..

كنت أجلس فى تلك القاعة ردىة النهوىة والإضاءة أطالع كنى عنىما
دخلى على، فسألته عن هلىن القامىن معه.. قال وهو بصلح عمامته:

— "صلىقان.."

ثم انجى إلى الثلاجة ففتحنها.. وسمعتة بشهىق..

نظرت إلى حىث وقف وأنا أتوقع منه تعللقاً عن اللون الأزرق، لكى
قال فى حىرة:

— "أىن وضعته؟"

دنوت منه أكثر فوجدت أن الدرل لىال.. نعم.. لىال تمامًا!

صحت فى هلىع ولىباء:

— "كان مولىوذا.. أقسم بالله أنه مولىو.. أنا لا أفهم.."

نظر لى بعىبه الذى لىكنسى بىاضهما باللون الأصفر كطىبعة المولىو ولم
لعلق.. فقط قال لى:

— "للىو أنك مرهق.. هل لىادر (المرحوم) الثلاجة؟.. لا أظن.."

قلت فى لىنون:

— "طىبقًا لا.. أنا لم أفارق المكان.. لم لىرقه ألىد.. أنا لا أفهم.. أنا لا
أفهم..!"

ثم صحت وقد تذكرت:

— "رجلا سىارة الإسعاىف ألىضراه.. سولى يؤكدان لك الأمر.."

قال وهو لىلق الدرل:

— "لما أن الللثة سرقى منك وأنت لىالس هنا كانك (مقطف) ولما أنك
تكذب أو تلىل.."

— "لا هذا ولا ذاك ولا ذاك.."

فى هذه الللظة ناداه ألىد الرجللىن لىنظر لى بلسعة ثم عاد إلى اللرفة
اللى كانت حمامًا فصارت مكىًا..

كنت أنا أفكر بلا انقطاع... الرعب الللىقى هو أن حواسى تلىدعنى..
اللى أن لىكون الملىت قد لىمض وفر، لكن لا ثقل لى من لىضلك إن حواسى
تلىدعنى..

هكذا ظللت ألىك فروة رأسى كاللجانلىن ملىولاً أن أفلىق.. أفلىق من
ماذا؟.. أفلىق من حالة الللاوعى الذى تمر لى..

لا أعرىق ملى رلىل الثلاثة.. لا لىد أن عم (عثمان) لم لىرد أن بلىالقىنى

ثانية.. غذا سيناقش هذه الأمور معي بشكل أوضح..

وأمضيت الوقت أنظر في الكتاب غير عالم كيف يجب أن أفكر..

هل أصارحك بشيء؟.. كانت هذه أسوأ ليلة في حياتي.. لقد مر الوقت

ثقيلاً واستعدت كل المخاوف القديمة من الموت..

على أنني في الثانية بعد منتصف الليل تذكرت أين رأيت تلك الملامح التي رأيتها على الجنة.. رجل أشيب الشعر له ملامح نبيلة.. أنفه معطوف كمنقار السر وله شفتان رفيعتان حازمتان.. إن هذا بالذات هو الرجل ذو القميص الأبيض الذي كان يجلس مع عم (عثمان) !.. نعم.. لاشك في هذا..

لا بد من تفسير لهذا.. هل فر الميت من التلاجة ليجلس مع صديقيه؟.. هل هو أخو المتوفي التوأم مثلاً؟

المشكلة إنني لو صارحت عم (عثمان) بهذا الرأي لأضفت نقطة أخرى إلى سجل خيالي..

• • •

في الرابعة صباحاً سمعت صوت المحفة.. هذه المرة رأيت مسعفين يدخلان المشرحة وهما يحملان محفة عليها وجه مكسو بملاءة..

كنت أعرف هذين الرجلين جيداً، وقد حياني أحدهما وقال:

— وجدوه ميتاً في الزقاق المجاور.. لا يبدو أن هناك جريمة في الأمر.. لا أوراق.. إنه ناقص الأهلية..

وقال آخر وهو يحفف عرقه:

— ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن.. وربما لم تكن له أسرة.. لا نعرف..

هذه المحاورة تبدو مألوفة.. دنوت من الجنة وكشفت الوجه.. وارتجفت.. للحظة كف قلبي عن الخفقان.. هذه المرة بلا لون أزرق ولا شيء.. مجرد جثة يبدو السلام على وجهها.. إنه الرجل ذو القميص الأبيض.. الرجل أشيب الشعر بملاءمة النبيلة وأنفه النسري وشفتيه الرفيعتين..

لقد مات.. إنه صديق عم (عثمان).. لا شك في هذا..

وحينما انصرف المسعفان رحمت أفكر في معنى هذا كله.. جثة زرقاء تصل في الساعة التاسعة مساءً.. بعد هذا تختفي الجنة.. ثم تصل من جديد غير زرقاء في الرابعة صباحاً..

صاحب الجنة بلا شك هو ذلك الرجل الذي كان جالساً في (الدورة).. ما معنى هذا؟

يقولون إن الميت يكون ميتاً بالفعل أربعين يوماً قبل موعد وفاته الحقيقي.. في هذه اللحظات يجلس مع الناس ويتكلم وهو لا يعلم وهم لا يعلمون أنه ميت في وقت مقترض.. حكيت هذه القصة ذات مرة لعم (عثمان) فضحك ساخراً، وقال إن هذه خرافات..

عندهم في النوبة يعتقدون أن هذه الفترة نصف يوم..

ثم ماذا؟.. لا أذكر كل ما قاله لي..

الآن لنفترض أن حالة الشفافية التي مررت بها منحتني هذه الموهبة العجيبة.. لقد رأيت الرجل ميتاً قبل أن يموت فعلاً بسبع ساعات أو أقل.. وكانت العلامة التي منحتها هي أنني رأيت مصبوغاً باللون الأزرق.. بعد هذا فارق الرجل الحى رفيقه وأمضى أمسية مع رفاق آخرين.. أمسية أزهق فيها صحته طبعاً أو دخن جرعة أكثر من اللازم من المخدرات.. كل أصدقاء عم (عثمان) مدمون مخدرات بالنسبة.. هكذا أصابه تلك النوبة القلبية في الزقاق المجاور للمستشفى ووجدته أحدهم وابلغ الإسعاف..

هل هذا السباريو ممكن؟

كنت غارقاً في هذه الخواطر في الخامسة والنصف صباحاً عندما تردد الصوت الرهيب من جديد.. هذه من الليالي الصاخبة إذن..

على أنني تصليت عندما رأيت المسعفين اللذين كانا يدفعان الخفة..

إنهما المسعفان اللذان رايتهما أول مرة.. اللذان احضرا الخفة الزرقاء.. حقاً إنني أحمق.. لماذا لم أهتم كثيراً بلونهما الأزرق الذي لا شك فيه؟.. هل هما شبهان؟.. هل هما ميتان؟..

حاولت ألا أظهر جزعي بينما هما يقفان أمامي يحملهما الرهيب..

قال أحدهما:

— "شاب دمهت ميارة مرعة.. إنها ميتة شبعة"

لم أعلق..

فقط دنوت من الخفة ورفعت طرف الملاء لأرى صاحب هذه الخفة..

بالفعل كان اللون الأزرق يعمو كل شيء.. والآن فقط تذكرت بالي ما قاله عم (عثمان) لي..

قال لي إن هؤلاء الذين يكونون ميتين فعلاً وهم لا يعلمون، يكسبون شفافية خاصة.. إنهم يرون ما لا يراه غيرهم.. يرون أولئك الذين سيموتون مثلهم في الساعات القادمة!..

الآن أتذكر هذه الكلمات وأفهم لماذا اكتسبت هذه الشفافية..

إن الوجه الأزرق الراقد على الخفة كان وجهي أنا!

إن الوجه الأزرق الراقى على الخفة كان وجهي أنا

• • •

تيلي

الأزرق النيل.. بداية العالم ونهايته.. هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (سليمان) وهو يشمر كميّ القميص إلى منتصف ذراعيه المفتولين:

— أنا لا أتكلم عن الغروب والشروق.. تلك الأوقات التي يحلو للشعراء أن يتخللوا في النيل فيها.. أغلب هؤلاء (أفندية) لا يفارقون مقاهيهم في وسط القاهرة.. هؤلاء لا يعرفون أنهم يتكلمون عن اللون الذهبي أو الفرمزي.. أنا أتحدث عن لحظة بعينها من النهار.. اللحظة التي يصير فيها النيل أزرق نيلًا فعلاً كما في الكتب.. كما خلقه الله.. تحدثت أنت عن النيل في الليل.. عندها أنت تتكلم عن الأسود.. تحدثت عنه عند الغروب.. عندها تتحدث عن الأرجواني.. لكنني أتحدث عن النيل حينما يكتسب هذا اللون الأزرق النيلّي الهادئ النادر.. تشعر لحظتها أن هذا هو النيل حقاً وقد نزع عنه أقنعة التكلف والادعاء..

كنت أفهم ما يقول إلى حد ما.. الرسام التأثيري الباريسي الذي لم يكن يرسم محطة (سان لازار) إلا في ساعة معينة من اليوم.. لا قبلها ولا بعدها، لأنه يبحث عن نوع معين من الإضاءة.. وبعد أن تتلاشى الإضاءة التي يريدها كان يحمل قروشاته ولوحة الرسم ويعود لغرفته في

(موتبارناس).. هل كان (موتيه) أم (مانيه)؟.. ما زلت أخلط بين الاثنين..

كنت أفهم هذا وأفهم سر تعلق المرء باللون الأزرق النيلي الهادئ.. حتى في سحر (الكابالا) اليهودي يرمز هذا اللون للطبقة الرابعة (شمس الرحمة).. أي أنه يرمز إلى الأب.. إلى الحنان.. إلى العدل والخير والاتزان الكوني.

كان (سليمان) يدرس في المدينة، لكنه كان يصر على أن يعود إلى (كفر الزيات) كل يوم.. وفي الساعة المختارة كان يتوجه إلى النيل.. يمشي بضع دقائق على ضفته أو يستقل قارباً يجذف به مطارداً الأزرق النيلي الجميل.. لهذا - ولأن هذه العادة ترافقه منذ الصبا - صارت له كظان عريضتان تذكراك بأكاف المصارعين، وكان حجم فرائعه جديراً بالتأمل.. لن تكسب أية مشاجرة معه أبداً.



إنما الثالثة عصرًا في هذا الوقت من السنة..

هو يعرف الوقت بالضبط.. ويعرف أن الموعد يختلف في الشتاء..

كان هذا وقتاً ميتاً خاملاً.. في الصيف تكون الشمس عمودية تماماً

تجعل الجميع يتفرون من المشي.. في الشتاء يكون الطلبة والموظفون قد عادوا لديارهم..

لا أحد على الكورنيش إلا بعض العشاق من القرى المجاورة.. طلبة غالباً.. ينظرون حوّلهم في رعب.. هنا يختلف العشاق عن عشاق القاهرة الذين ينظرون لك بوقاحة وتحد.. إنهم هنا خائفون مذعورون مستعدون للتفريق في أية لحظة.. ولن يزيد الأمر على بضع حمل تقال بصوت خفيض وسرعة ثم يعود كل منهما لداره بحمد الله على نجاحه هذه المرة.

يمشي (سليمان) في ثقة متجهًا إلى السور.. تلك الفتحة التي اجتازها مئات المرات من قبل.. يعبر إلى الضفة الترابية المنحدرة.. يمشي قليلاً إلى أن يقابل (محمد عص) المراكبي العجوز الجالس جوار الشط لا يفيق من الخشيش.. العينان الحمران المنهكتان الضيقتان.. السحنة المرهقة التي تشي بكيف صاحبها.. برغم هذا كان الرجل لطيف المعشر، وهي تلك الصفة التي نلاحظها في الحشاشين المستين حيث يجعلهم الخشيش أهدأ طبعاً وأقرب للتأمل.

على مسافة مترين يجلس (يوسف).. رجل في الثلاثين من العمر لا يعرف عنه (سليمان) إلا أنه يصطاد.. يصطاد دائماً.. بصطاد للأبد.. القبة القماشية الممزقة على رأسه و(الغلق) الذي يحوي شيئاً ما،

والصنارة الطويلة المتدلية في الماء أبداً.. لم يره قط يستخرج سمكة من الماء.. لكنه صار من ضروريات الليل..

يسأل (محمد عصر) عن الأحوال فيقول هذا إنما (زفت) كالعادة.. ويضحك حتى يشخخ صدره من فرط ما فيه من بلغم..

وبحركات الواثق الذي فعلها مئات المرات من قبل يزرع (سليمان) حذاءً به ويلقيهما في القارب الخشبي، ثم يدفعه ليعتد مسافة عن الضفة ثم يشب فيه.. يفعلها من دون أن يطلب الإذن من صاحبه.. لقد قضت العادة على الفضول أو التساؤلات، وقد اتفق هؤلاء القوم ضمناً على أن يفعل كل منهم ما يريد دون أن يسأله الآخرون أو يسألهم هو..

يبعد القارب ليتوغل في النهر الواسع.. جزر ورد النيل تحيط به لمخترقها.. هذه اللحظة بالذات أثيرة إلى نفسه.. يحرك الجذاف بألفه وثقة قاصداً تلك البقعة التي يعرفها جيداً.. البقعة التي يرى فيها اللون الأزرق النيلي.

يجب أن نتوقف هنا لنؤكد بعض الحقائق.. لم يكن (سليمان) شاعراً.. ولم يكن يتمتع بثقافة خاصة.. فقط كان النداء يدعو كل يوم ليرى هذا الأزرق العظيم.. لم يكن يهتم بتحليل مشاعره، ولا يهتم بفهم ما يدور بخلفه؛ فقط كان يريد أن يُترك وشأنه وأن يسبح في هذه الزرقة إلى أن

يتبدل اللون.. بالنسبة لي ولك لم يكن يتبدل، لكن عيني (سليمان) الحساسين كانتا تلحظان الفارق.. عندها لا يعود النيل نيله، إنما هو نيل الآخرين المتظاهرين بالشاعرية.. نيل (الأفندية) كما كان يحلو له أن يدعوه..

وعندها فقط كان يعود..

أحياناً كان يتوقف بالقارب عند الضفة الأخرى.. ويُخرج من الكيس البلاستيكي كتاباً من كتب الجامعة، ويحاول أن يقرأ شيئاً.. كان يدرس الحقوق.. وكان يكره الحقوق.. لكنه كان يحاول بضمير مخلص أن يفعل ما يفترض منه أن يفعله.. والنتيجة: لا شيء.. حروف زائفة ومعان لا تستقيم.. سرعان ما تذلق عيناه فوق الأوراق لتستقر على الماء.. ولا يدري متى ولا كيف يتغلق الكتاب ليعود إلى الكيس..

هل كان واقعاً في الحب؟.. أنا لا أعرف.. لا أحد يعرف.. أراهن على أنه هو نفسه لا يعرف.. إن تلك النظرات الخاوية الزائفة أبعد ما تكون عن نظرات إنسان يعرف نفسه..

إذن فيم كان يفكر وهو ينظر للماء؟..

متى بدأت القصة؟.. أنا لا أعرف.. هو لا يعرف.. لا أحد يعرف..

الأزرق النيل.. بداية العالم ونهايته.. هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

تقول (عواطف) وهي تحكم ربط الإشارب النيل حول عنقها:

— "قليلات يفهم ما أتكلم عنه.. أنا أتحدث عن خطة بعينها من النهار.. اللحظة التي يصير فيها النيل أزرق نيلًا فعلاً كما في الكتب.. كما خلقه الله.. تشعر لحظتها أن هذا هو النيل حقاً وقد نزع عنه أفعه التكلف والادعاء.."

لا نعرف سر هذا النداء الغامض الذي كان يدعوها إلى النيل في هذه الساعة من كل يوم.. إنها تعيش في (كفر الزيات)، ولم تكن تعاني كثيراً في البحث عن مأمورية ما تدفعها للخروج في هذه الساعة.. إن الوقت حول العصر على كل حال.

كانت طالبة في الثانوية التجارية، ولم تكن رائعة الجمال لكنها كانت مشوقة القوام.. ولو رأيتها وهي تمشي بسمرة فاردة ظهرها جوار النهر لحيل إليك إنها (إيزيس) ذاتها، وكأنها تفتش عن أشلاء (أوزيريس) المتناثرة هنا وهناك.. هل ترى ثيابها الرخيصة؟.. إنها غيم حيا بهذه الدرجة من الزرقة بالذات..

كانت ترى ذلك المراكبي العجوز الجالس يدخن والذي لا يفتق أبداً،

وذلك الصياد الذي لا يصطاد شيئاً أبداً.. ترى باتمة اللب وذلك الصي الذي يقف يكران خرة لا يبيعها أبداً..

كلها معالم تحفظها جيداً، وهي تمشي جوار النهر العظيم ذالبة في الأزرق النيل..

هناك من يعاكسها من هؤلاء الفتية الذين تأخروا في العودة من مدارسهم.. تعرفهم من ثيابهم الموحدة والكتب التي يحملونها.. إنهم لا يفهمون لمشي فتاة وحيدة مثلها إلا معنى واحداً.. وكل واحد منهم يتمنى أو يريد أن يبدأ قصة ما، لكنها لا تبالي بهذه السخافات، هذا الدباب الذي يمنعها من النظر إلى النيل بلا انقطاع.

تمشي على النيل وهي تنظر للضفة الأخرى بحنين.. لو استطاعت أن ترمي بنفسها فيه.. لو كانت لها حرية أن تتركب قارباً من هذه القوارب كما يفعل ذلك الفق مفتول العضلات هناك.. لكن مجتمعاً كمجتمعها قاس جداً على المرأة ولن يفهمها أحد..

فقط الرجل يحق له أن يخرج متى شاء، ويعود متى شاء.. ويستاجر قارباً محبوب به الماء متى أراد.. ولو قرر في لحظة أن يتزع ثيابه ليشب في النيل لما أقمعه أحد بالوقاحة..

الوقاحة الحقيقية هي أن ترى شيئاً غريباً في هذا..

كانت تتهد.. ثم تكمل جولتها وتعود.

حقاً هي لا تعرف سر ولعها باللون الأزرق النيلي..



الأزرق النيلي.. بداية العالم ونهايته.. هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (يوسف) وهو يضع في الشص دودة أخرى:

— أنا لا أتكلم عن ذلك النيل الذي تراه في (البحر)؛ نيل (أحمد) و(مق) وهذا الفراء.. النيل الذي يدعوني إليه هو النيل عندما يبدو نيلاً.. أزرق.. نيلًا.. جميلًا صافيًا..

كان يعرف أنه صياد خائب.. أسوأ صياد عرفه في حياته..

لكن ما أن يأتي الوقت حتى يجد نفسه يحمل ديدانه وصنارته ويضع القبعة القماشية على رأسه ويهرع إلى النيل.. يمر جوار عم (محمد عوف) العجوز الذي لا يفارق من الحشيش والذي يتظاهر بأنه مراكمي محترف.. اسمه (محمد عوف)..

لقد أخبره بهذا وأخبره أن الحمقى يحبون اسمه (محمد عوف).. لا يهم.. عندما تصير في سني لا يهم.. إن القبر لا يبالي باسم العظام

الراقدة فيه.

يقول عم (محمد):

— لا يمكنك أن تصطاد (بارباية) واحدة في هذا المكان وفي هذا الوقت.. السمك لا يأكل الآن يا بني.. يجب أن تنتظر الغروب.. واذهب هناك..

ويشير بيده الراجفة إلى بقعة ما يحفظها ورد النيل، ويمر بها في هذه اللحظة فارب الفتي مفتول العضلات الذي يراه كل يوم..

كم مرة قالها له العجوز؟.. وكم مرة لم يصغ له..؟

إن الصيد آخر شيء يريد.. كل ما يريد — منذ نعومة أظفاره — هو أن يملأ عينيه بالأزرق النيلي.. والصيد مجرد مرور واه..

تلك الفتاة التي تأتي كل يوم نحو به.. معقولة.. ليست جميلة لكن جسمها لا بأس به أبدًا... الغريب أنه لم يشعر لحظة في حياته بأنه بحاجة إلى امرأة.. هل هو طيمي؟.. لا يعرف..



أنقل هنا كلمات عم (محمد عوف) أو عم (محمد عوف):

— كان ذلك اليوم مختلف.. لم يعد واحد منهم وقد بدأ الليل

يدنو..

لم أفهم ما يحدث.. إن عيني مريضتان سقيمتان، لكن كان يوسعي
أن أرى ذلك الفتي (سليمان) الذي صار زهوي الوحيد بحب النهر
بإصرار... يدور بالقارب وسط جزر ورد النيل.. ثم يعود بلا نية
للهبوط على الضفة..

في اللحظة ذاتها رأيت أن (يوسف) الصيد لم يجمع حاجياته
ويرحل.. لقد كرمها جواره وراح يرمق النهر في إصرار غريب.. بعد
قليل اقتربت تلك الفتاة التي تأتي هنا كل يوم.. وقتت تنظر للماء..

لقد غربت الشمس الآن ولونت الماء بلون أرجواني غريب..

لكن الفتاة لم تغير وفتحتها.. وبائعة اللب لم ترحل.. الكل يقف على
ضفة النهر يرمق الماء بإصرار لم أفهمه..

ثم رأيت القارب يدنو أخيراً من الضفة فيترجل منه ذلك الفتي..

صحت منادياً:

— تأخرت اليوم.. إن لنا حساباً خاصاً..*

لكنه لم يقل شيئاً.. فقط وقف مع الواقفين ينظر للماء..

ثم رأيتهم يمشون بأيدي بعضهم البعض.. لم أفهم معنى هذا.. إقم
لا يعرفون بعضهم البعض إلى هذا الحد.. رأيتهم يخطون بخطى ثابتة نحو
الماء..

لا تقاطعني!.. أعرف أن كل ما أقوله يحوم حوله الشك.. مستولون
إن الحشيش أطار صوابي.. نعم.. هذا جائز.. لكنني أقسم بغير أبي
الأكبر أنني رأيتهم يمشون نحو الماء.. بلا تردد ولا خوف ولا أي شيء..
هل تريد أكثر؟.. أقسم لك أنني رأيتهم يمشون فوق الماء.. يمشون..
يمشون.. وسط ورد النيل العائم..

ونظرت حولي فلم أر أحداً أشهده على هذا المنظر الرهيب.. لو
كان أحد قريباً..

رأيتهم الآن قد وصلوا إلى منتصف النهر ثم بلا أية مقاومة ولا كلمة
واحدة رأيتهم يفوضون في الماء.. يفوضون.. لا شيء سوى الفقاقيع.. لا
شيء سوى دوامات الماء..

لقد اكتمل الظلام..

ولم أعد أبين شيئاً إلا هذه البقعة السوداء في وسط النيل.. والتي
أقسم لك إنهم كانوا يقفون عليها منذ ثلاثين..

تقول إنني أخرف.. لا ألومك كثيراً.. أنا نفسي أشك في عقلي
الآن..

لا عليك.. انس ما قلت.. انسه..

• • •

لكفى لم انس ما قال..

لم انسه قط وما زلتُ اعتقد أنها لحظة عابرة من صفاء الوعي جعلته يرى ما رآه.. هؤلاء الفتية كانوا يتلقون نداء النهر منذ أعوام.. فما معنى هذا؟.. ثم جاءت اللحظة وسرعان ما اتجهوا إلى الماء ليغوصوا فيه بلا اتفاق مسبق ولا ترتيب.

التحول..

هذه هي الكلمة الصحيحة.. لقد تم إعدادهم لشيء كهذا طيلة حياتهم.. كان هذا النداء الذي لا يعرفون كنهه ورائقهم عدة أعوام.. ثم تم التحول وهكذا انتقلوا إلى طور آخر من حياتهم.. طور لا نعرف ما به..

دودة القز تلتهم أوراق التوت ولا تعرف السبب.. وفي لحظة بعينها تبصق خيوط الحرير لتدخل في طور الشرقة..

ما اليد الخفية التي اختارت هؤلاء ولأية أغراض؟..

عشرة أعوام أو أكثر من الإعداد.. لماذا؟.. هل ليموتوا غرقاً أم ليكونوا أبناء النهر؟

إلام صاروا؟.. ولماذا لم يجد أحد جثثهم قط؟

• • •

عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر) يجلس عند منتصف الليل جوار النهر..

إن الجو بارد لذا أعد لنفسه هذا (الخص) الذي يقيه شر البرد، وهو هناك جالس يشرب الشاي ويدخن الجوزة.. ويسعل..

بالنسبة له لا شيء يهم.. رأى هذه الظاهرة أم لم يرها لا شيء يهم..

القبير لا يبالي إن كانت العظام الراقدة فيه قد رأت عجباً أم لا، كما لا يبالي إن كان اسم صاحب العظام (محمد عوف) أو (محمد عصر)..

والخشيش.. صديقه الدائم.. لقد دخنه قبل أن يرى ما رآه فلم يستعشقه منه.. اليوم يدخنه بعد ما رآه فحسب أكثره.. لكنه ميعرف الكثير بعد دقيقتين.. بعد دقيقة واحدة.. بعد ثوان..

إن الماء يتحرك بجوار الضفة..

يخيل إليه أن شيئاً يرتفع من هناك..

الآن يرى بوضوح على ضوء النيران ذلك الشخص الخارج من الماء، والذي ابتل شعره واختلط بالأعشاب، وانضجت ملامحه كالغرفى..

لكه الوجه ذاته.. لن ينسأ أبداً..

(سليمان) يقف هناك ويمد يده له.. وبصوت مبحوح خافت لم يستعمله منذ زمن يقول:

— تعال يا عم (محمد).. لا تخف.. سأريك شيئاً لم تره من قبل..*

إن الماء لا يبالي بأسماء الجثث الفارقة فيه، إن كانت (محمد عوف) أو (محمد عصر).. كما أن الحشيش جعل جسدك وأهنا متراخياً عاجزاً عن الفرار أو الصراخ أو حتى إلقاء الأسئلة..

لا تخف أيها العجوز..

لا تخف..

• • •

بنفسجي

لون عيني أختها (ميادة) بنفسجي..

لا يمكن أن تصور مدى تباين الآراء حول هاتين العينين.. كأننا نتناقص قضية الشرق الأوسط.. إن أباهما يؤكد أنهما زرقاوان.. (مراد) حبيبها يقول إنهما كحليتان.. أستاذ (فكري) قال إنهما سوداوان..

(مها) فقط تؤمن بقبأ أن عيني أختها بنفسجيتان..

الكل يضحك.. الكل يتهمها بالسخف.. الكل يتهمها بالهذيان.. لكنها واثقة لما تقول.

فيما بعد قرأت أن عيني (تشيكوف) الكاتب الروسي العظيم كانت علامتي استفهام بالنسبة لكل من تعامل معهما.. ثم يفتق أحد قط على لونهما.. هذا يعني أن الأمر وارد.. ثمة أعين لا يعرف أحد لونها يقيناً...



لا تذكر متى لاحظت هذه الحقيقة..

ربما لاحظتها يوم جاء (مراد) لدارها أول مرة.. جلس في الصالون متظاهراً بالأدب بصفي لكلام الأب الذي لا ينتهي عن مستقبل المنطقة.. من الغريب أن العبقرى الذي يفهم كل طلاس السياسة والدين والاقتصاد والقانون والطب ليس بعيداً.. إنك تقابله في كل مكان تقريباً.. إنه جارك..

إنه صديقك.. إنه أبوك.. إنه أول واحد تلقاه في الشارع لو خرجت الآن..
إذن أين الحمقى في عالمنا؟.. إهم المكلفون رسميًا هذه الأمور..

كان (مراد) يتظاهر بالإصغاء ويعتصر كأس العصر.. كم تحب هذه
البسمة نصف المهذبة نصف الساخرة على شفاهه والتي تراها كثيرًا أثناء
عمله في الإدارة صباحًا..

لكن الابتسامة تلاشت عندما دخلت (ميادة).. صافحته وجلست جوار
أيها، وتلك الرائحة الفواحة تتصاعد منها.. كان وجودها ذاته ملموسًا
كأنها طيف.. طيف غريب ساحر.. وقد نساءلت (مها) في دهشة عن
السبب الذي يجعل أختها تتأق بهذا الشكل - الذي لم تره قط - لأن
عريسًا جاء لأختها..

تلاشت الابتسامة وتظاهر (مراد) ببعض الوقت بأنه منهمك لا يلاحظ،
ثم فجأة بدأت عيناه تدور لثان نحو (ميادة).. هذه النظرة!.. تعرفها جيدًا!.. لن
تخضع فيها!..

الآن صار يتكلم ببطء ويضغط على كل حرف.. أحيانًا ينسى ما كان
يريد قوله.. وقد خرجت (مها) لشأن ما، ثم عادت لتضبطه ينظر إلى (ميادة)
بشبات والفرط بينما الأب يثرثر بلا انقطاع.. نعم.. هو ينظر لها وإن كان
يعطي انطباعًا أوليًا بأنه ينظر نحو الأب.. تذكرت الشاعر الأحول (أبو

العيناء) الذي كتب عن موقف مماثل:

"حدث الله إذ بلاني بمها * على حول يغني عن النظر الشنر

نظرت إليها والرقب يظنني * نظرت إليه فاستخرجت من العنبر"

هكذا جلست (مها) معكورة المزاج، فلو كانت هذه قصة مصورة خرج
الدخان الأسود من رأسها كناية عن الغضب.. هذه الأفعى قد قررت أن
تفسد أجمل ليلة في حياتها حتى هذه اللحظة..

كانت (ميادة) جالسة وقد أشرق وجهها كالشمس، وكانت تتابع كل
حرف يقوله (مراد) وهي توشك على الانفجار ضحكًا أو تؤمن على كلامه
كالإمام.. بينما هي - (مها) - جالسة كالضيف الزائد.. لا دور لها على
الإطلاق في أي شيء، ولو جاء زائر من المريح لقال لك إن (ميادة) و(مراد)
حييان يجلسان في وجود عاذلين قبلي الظل..

عندها أدركت أن عيني (ميادة) بنفسي جتان..



كان هذا الشيء يتوهج على الأرض بلا انقطاع..

وانغنت تلتقطه وتتفحصه..

ربما كان ورقة.. لكنها أقرب إلى رقاقة إلكترونية كالتي نراها في الدوائر المتكاملة.. دوائر كهربية رُسِمت رسماً على دعامة من المعدن.. وكان لها بريق غريب..

قالت لأختها:

— "ربما كان من الحكمة أن نتخلص منها.. سمعت أن هذه الأشياء تنفجر"

قالت لها وهي تلمس الرقاقة في حقيبتها:

— "لا أعرف.. ربما كانت مهمة.. أنا لم أعود أتخلص من شيء لا أعرفه"



في الصباح قابلت (مراد) في الإدارة حيث كان عاكفاً يصلح ثغرة في برنامج الكمبيوتر الذي صممه..

قالت له في فتور:

— "علام التفقما؟"

قال وهو يواصل قرقع المفاتيح:

— "لم تنفق.. كان هذا هو التصرف.. الخطوة الأولى.. الخطوة الثانية هي طلب يدك رسمياً في وجود أهلي.."

ثم حك رأسه في دهشة وسألها:

— "غريب.. حسببت أنك تابعت المحادثة كلها.."

قالت في شيء من السخرية المريرة:

— "(مباداة) تابعت كل شيء.."

هل يعتمد أن يغيظها أم هو فعلاً أبله إلى هذا الحد؟.. لقد قال في الفستان وقد توقف عن الكتابة:

— "أختك هذه ظريفة فعلاً.. والأغرب أن عينيها كحليتان!.. لم أر في حياتي شخصاً له عينا بهذا اللون!"

كانت تعرف ولع الرجال الوحشي بإثارة غيرة النساء اللاتي يحبوهم.. لهذا قررت ألا تحقق له أي انتصار وقالت في برود:

— "أنت دقيق الملاحظة.. لم أنظر في عينيها قط في حياتي.. لكنك رايت هذا وبرغم المسافة بينكما.. عبقري فعلاً!"

هز رأسه وواصل الطرق على المفاتيح..

لكنها قالت في نفسها إنه أحق.. إن لون عيني (ميادة) بنفسجي..

يكفي هذا.. هذه لن تكون المرة الأولى التي تظهر فيها (ميادة) بكل شيء..
بتقدير المدرسين وحب الأيوين وهيام المعجبين وتصدق المشككين.. كل شيء..

هناك قصة لـ (مارك توين) تحكي عن أخوين أحدهما مهذب متواضع قانع،
والآخر وغد صاحب مزعج.. لهذا كانوا يعطون الأول أقل القليل من كل شيء
(لأنه ملاك)، بينما الآخر كان يظهر بالفخر الثياب وأعلى الألعاب (لأنه وفح
يصعب إرضاءه).. الحقيقة أن هذا كان سيناريو حياتنا مع (ميادة) تقريباً..

الأب كان يدلل (ميادة) كثيراً لأنها الأصغر ولأنها تشبه المرحومة أمها..
حتى في لون العينين الأزرق.. وحتى سن العشرين كان يذهب لكليتها
ليصحبها في العرصة، بينما (مها) فديرة لا يخشى عليها المرء، لذا كانت
تواجه حنفها على درجات الحافلة كل يوم وتلقى ألف كوع في وجهها..

أما حينما تمشي الشقيقتان معاً، فقد كانت (مها) تعرف أين ينظر
الجميع ولماذا.. فلولا التهذيب لطلب منها الناس أن تتحى قليلاً كي لا
تجرب جمال أختها..

في تلك اللحظات كانت تدرك أن عيني (ميادة) لو تمها بنفسجي..



متى قررت أن (ميادة) لم تعد كما كانت؟

هذا أيضاً من الأمور التي يصعب إعطاء رأي دقيق فيها.. أنت تفاجأ
بأن ابنك الطفل البريء رفيع الصوت صار مرافقاً خشن الصوت والوجه،
فلا تستطيع أن تعطي تاريخاً محدداً حدث فيه هذا.. التغيرات التدريجية تجعل
تحديد التاريخ مستحيلاً..

الملاحظة الأولى هي أن عيني (ميادة) ليست بنفسجيتين دائماً.. لا شك
في هذا.. من السهل أن تقول إنها كانت واهمة من البداية.. لكن لا.. هي
واقعة من حواسها جيداً.. لون عيني (ميادة) صار بنفسجياً ثم لم يعد كذلك،
ولا مجال هنا للكلام عن عدسات ملصقة..

أحياناً أخرى تنظر لـ (ميادة) فتجد أنها كانت حمقاء.. عينا الفتاة
بنفسجيتان بقوة.. وفي كل مرة تكلم نفسها عن الاعيب الضوء.. العين
البية الفاتحة تخضر أحياناً أو تبدو ذهبية في أحيان أخرى..

لماذا صارت (ميادة) تأكل أقل فأقل؟.. هي لم تكن شرهة لكنها لم تكن
فراشة فقط..

ثم عادة الكلام أثناء النوم.. إن الفاتنين تنامان معاً في غرفة صغيرة حميمة
هي نموذج لأية غرفة فتيات في مصر.. كانت (ميادة) تنام كالقبر فيما

سبق.. بلا أي صوت.. لا شخير.. لا صليل من الأنف.. لا شيء.

في الفترة الأخيرة هي تكلم.. أولاً تبدأ في الضغط على أسنانها محدثة صريراً.. الصوت الذي يحطم أعصاب (مها) فعلاً.. ثم يبدأ الكلام.. لغة لا يمكن فهمها.. تقول أشياء.. أصواتاً غليظة.. أصواتاً خشنه.. أصواتاً خفيفة.. ضحكات خالقة.. ضحكات مائعة..

ثم..

هل حدثك عن موضوع الضوء البنفسجي الذي يغمر الحجرة؟.. نعم.. أحياناً تنهض (مها) من نومها مدعورة لتجد أن الغرفة تسمج في ضوء بنفسجي رهيب.. شيء يذكرك بالغروب.. وليل أن تصرخ أو تحاول الفهم يزول هذا التأثير وتستعيد الظلام الخيب السابق.. لقد فسرت الأمر أكثر من مرة بالعباب الضوء.. أثر الظلام على عين كانت نائمة ثم فتحت فجأة.. مثلما تنظر للشمس برهة من ثم تطاردك في كل ركن مظلم من دارك..

هذا بالطبع لو تفاضينا عن جلسات (ميادة) وحدها في الظلام تقرأ!

نعم.. هذا صحيح.. لقد صحت (مها) أكثر من مرة ليلاً لتجد أن (ميادة) تجلس في الظلام الدامس وعلى حجرها كتاب.. وذات مرة سألتها

عما تفعله بالضبط فقالت (ميادة) في ارتباك:

— "لا شيء.. أردت مراجعة نقطة في دروس غد ولم أشأ أن أزعجك!"

مق اتخذت قرارها؟

هذا أيضاً من الأشياء التي لا يمكن أن نحدد لها تاريخاً..

لقد صحت ذات يوم وقررت أن (ميادة) ليست هي (ميادة)..

هذا هو الغسر الوحيد والمقبول..



لعل هذا حدث بعد اليوم الذي جرحته فيه (ميادة) نفسها وهي تقطع برتقالة في المطبخ.. وهرعت (مها) مدعورة تحاول أن تساعد، لكن هذه ركضت إلى الحوض مرتبكة وراحت تغسل يدها من الدم.. دم؟.. لرعب ثانية استطاعت (مها) أن ترى السائل المتدفق، وعرفت في فرارة نفسها انه ليس دماً على الإطلاق.. إن لونه بنفسجي..

لم تسطع أن تصارح أحداً بخواطرها.. إن الإجابة جاهزة: أنت هستيرية يا عزيزتي.. أما الإجابة الأسوأ فهي: أنت تحقدن على (ميادة) لأنها تفوز بكل شيء وأنت لا..

هكذا قررت أن تبلع خواطرها وتصمت..

لكنها قررت أن تفتش حاجيات (ميادة) جيداً..

ذهبت (ميادة) إلى كليتها في الصباح، وكان على (مها) أن تفرع إلى الإدارة لكنها قررت أن تأخذ ساعة تأخير لهذا اليوم..

وحدها في الغرفة هرعت إلى خزانة ثياب فألقت عليها نظرة خيرة.. كانت تعرف كل ثوب وكل شيء هنا.. ثم راحت تفتش في صناديق الأوراق التي تخفي فيها (ميادة) (كنوزها) منذ الصبا.. فوفعة غريبة الشكل، وردة مجففة، بطاقة معايدة عليها قطّ جميل.. الخ..

لا شيء..

ثم هرعت إلى المكتب ففتحته وراحت تنقب..

لحظة.. هذا هو الكتاب الذي وجدته أكثر من ليلة بين يدي (ميادة).. لا يوجد كتاب آخر بهذا الحجم وهذا القطع.. مدت يدها تفتش بين أوراقه فلم تر إلا كتاباً دراسياً مملأً بشرح هندسة الاتصالات..

لكنها في نهايته وجدت شيئاً.. تلك الرقاقة التي وجدتها في فريتهما..



— ما هذا الضوء الذي توهج للحظة واحدة خلف الشجرة؟ —

— لا أعرف يا (مها).. —

— إذن تعالي نقرب.. —

— تخيل إلي أنه شيء هبط من السماء.. هل تعرفين كيف قبضت تلك القنابل وتفجرت في السينما؟.. أخشى أن نكتشف أنه لغم.. —

— كلام فارغ.. هل ترين شيئاً؟ —

— لا.. لكن لحظة.. هذه الرقاقة البراقة.. لا أعرف سبب وجودها في قرية كهذه.. وسط روث الماشية.. هذه هي الشيء الذي هبط من السماء.. —



إن الرقاقة الآن في راحتها..

لا يوجد ما ينبغي أن تكون هي الشيء الذي تسهر (ميادة) تتأمله ليلاً..

تسربت حرارة جسدها إلى الرقاقة فراحت تسخن.. وتسخن.. يبطء لكن بشكل مؤكد.. إنها توهج بذلك الضوء البفسيح الغريب الذي كانت تراه في الغرفة ليلاً..

انتابها الملح فكدفت بالرقاقة لتسقط على الفراش، ثم ابتلعت ريقها وراحت تلهث..

هذه الرقاقة لعنة.. لا شك لي هذا وهذه اللعنة قد مست (ميادة) فجعلتها تغير.. لكن.. لعنة؟..

لعنة؟

غريبة هي تلك اللعنات التكنولوجية التي تشبه الدوائر المتكاملة..

ثم خطر لها شيء آخر..

(ميادة) هي التي أسرعت أولاً لترى ما سقط خلف الشجرة.. هي رأت الفلما كثيرة للخيال العلمي، ورأت عشرات القصص التي يتم فيها الاستبدال في لحظة.. فجأة لم تعد (ميادة) هنالك.. إما أنها صارت قشرة تضم ذلك الشيء الذي جاء من أجواز الفضاء، وإما أنها تلاشت وهو حل مكانها.. ثم خرج من وراء الشجرة ليقول: "لا.. لكن لحظة.. هذه الرقاقة البراقة.. لا أعـ... الخ.."

ولي هذه الحالة لا بد أن الرقاقة كانت هي سفينة فضاء ذلك الكائن، أو لعلها جهاز اتصال خاص به قادر على نقل كيانه إلى العنـ الذي يمكـ لها..

هل هذا معقول؟

غير معقول.. لكن ما يحدث لـ (ميادة) غير معقول كذلك.. أنت تحتاج لأكثر التفسيرات سخفاً كي تفسر أكثر الظواهر غرابة..

ماذا تفعل؟.. لا تستطيع أن تقبل (ميادة) ببساطة لأن (كائنًا فضائيًا يمكن فيها).. لكن هناك حلاً أقرب إلى المنطق وسوف تنفذه هذه الليلة..

• • •

كنت أنا الطبيب النفسي الذي تولى علاج (مها)..

قلت للأب والأخت (ميادة) وأنا أخط آخر ملاحظاتي في دفثري:

— "القصة بسيطة جدًا ونسمعها مئات المرات.. إن شعورها بالظلم وبأنها لا تنال ما تستحق أدى بعقلها المش إلى جنون اضطهاد كامل.. هكذا ولدت هذه القصة عن أختها التي ليست أختها.. ثم هذا المشهد الدرامي الأخير.."

قال الأب وهو يرتجف:

— "هل تسمح لي بالتدخين؟"

هزرت رأسي في ضيق أن نعم، فأشعل لقافة تبغ بيد راجفة وقال:

— "لا أتصور ما حدث.. أصحو في الرابعة صباحاً لأصلي الفجر؛ فأجد (مها) واقفة في المطبخ تحاول حرق تلك الدائرة التي تحتفظ بها أختها لأسباب دراسية.. وحينما حاولت منعها راحت تصرخ في هستيريا.. تقول إن (ميادة) ليست (ميادة) وإنما قشرة يتخفى فيها كائن فضائي.. لقد جاء الجيران واحتجنا إلى تقييدها لنحملها إلى المستشفى.. لكنها لم تكف عن الصراخ لحظة.."

قلت وأنا أكتف أنفاسي تفادياً لكل هذا الدخان:

— "كل هذا يحدث كثيراً جداً.. فقط كل إنسان يعبر حالته فريدة.."

سألني في لهفة:

— "هل أنا السبب؟.. هل تعتقد أنني فرقت في المعاملة بينهما حقاً؟"

قلت في برود:

— "يصعب علي أن أحكم ما دمت لم أر.. لكن الإحصاءات تؤكد أن هذا هو الحال لدى 80% من الآباء.. لسبب ما يظفر أحد الأخوة بكل شيء.. وهذا يوقع الآخرين في مصيدة الاحتياج للحب وانعدام الثقة بالنفس أبداً.. أنا أؤمن أن كل مرض نفسي جاء من خطأ تربوي أو خلل وراثي.. لكن أرجو ألا يكون أوان العلاج قد فات.."

تأهب للنهوض فقلت له:

— "سوف تبقى هي في المصححة كما اتفقنا وإن كنت أفضل أن تبقى أختها معها.. هذا مهم للعلاج.."

هز رأسه موافقاً.. كان يوسعه الآن أن يوافق على أي شيء.. إن الإحساس بالذنب هذا..

مرت دقائق بعد انصرافه، و(ميادة) تجلس أمامي صامتة تعبت ببغايا لغافة التبغ التي كان أبوها يدخنها.. بعد قليل نهضت فأغلقت الباب وأضأت النور البنفسجي المريح للعين لأنه يذكرنا بوطننا..

قالت لي:

— "سوهاك.. إياهمواه سيلا تنمو كوانمار شين كاه.."

فقلت لها في حزم:

— "سوف نتكلم العربية.. كففاك ما القرفت من أخطاء حتى هذه اللحظة.."

ثم سمحت للون البنفسجي أن يتألق في عيني وقلت لها:

— "كنت سريعة الخاطر عندما اقترحت اسمي لأعالج (مها).. إنما الآن في

قبضتنا ولن نشر ومهما تكلمت لن يصدقها أحد.. لكنك كنت بلهاء عندما سمحت لعينيك بأن تألقا باللون البنفسجي.. حقاً عندما رحت تخاطبيني عبر الشريحة في الظلام.. لقد كشفت عن أشياء كثيرة جداً..*

بدا عليها الحرج في الضوء البنفسجي المريح للعينين، فقلت لها:

— "لقد تم تحويلنا منذ شهرين.. هناك خمسة منا الآن في (مصر) وعشرون في (الولايات المتحدة) وخمسة في (فرنسا) وأربعة في (اليابان).. يجب أن نظل في دائرة الظل إلى أن يزداد عدداً أكثر فأكثر وعندها نضرب ضربتنا.. ليس قبل ذلك.. صدقيني"



د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

فوس قرم

احمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
اليوم تحكي لك كيف أن فوس القرع قد يكون مخيفاً..
كيف تحوّل الألوان مرعبة أو «على الأقل تقدير» ليست كما
وجدت في خيالات طفولتنا..

احمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
فوس قرع..

وسبع قصص تحكي عن الألوان..

سبع حكايات عن فوس قرع..

التعريب: مصر:

الناشر: دار ليل للشر والتوزيع

5